

المضمون التاريخي العالمي لأدب الواقعية النقدية

• تأليف : سن. بيتروف

• ترجمة : شوكت يوسف

لعب فن الواقعية في الحقيقة دوراً فائق الأهمية في التطور الروحي
للإنسانية وفي مسيرة الفن العالمي . حدد هذا الدور الهام في المقام الأول المضمون
التاريخي - العالمي الذي اضطلع به أدب الواقعية النقدية . فقد جسد الكتاب
الواقعيون من مختلف المراتب في مجموعة اللوحات والصور التي أبدعوها
خصائص وسمات عصرهم والشخصية القومية لشعوبهم وعبروا عن مشاعر
الناس وأفكارهم ، عن رغباتهم وآمالهم وطموحاتهم وجسدوا مثلهم الإنسانية
والديموقراطية . استطاع الأدب العالمي ، وبقوى الواقعية قبل كل شيء ، كما
قال بلزاك ، أن « يحلل كل الشخصيات ، يمثل الاخلاق والاعراف المختلفة ،
يطوف الكرة الأرضية كلها ويستشعر هموم ومواجيد الناس » .

فقد الفن الواقعي بعمق ، لم يقدر عليه فن آخر غيره ، إلى أعماق أسرار
الواقع الإنساني . استوعب الكتاب الواقعيون من مختلف الجوانب حياة
الإنسان والمجتمع ، التاريخ الماضي ، عالم الطبيعة وجعلوا مادة الفن كل شيء
يهم الناس معتبرين أنه حيث الحياة فهناك الشعر .

جسد الفن الواقعي كل لحظات الحياة الانسانية : ولادة الطفل ، عالم الطفولة واهتمامات الاطفال ، الفتوة واندفاعاتها ، نشاط الانسان الراشد - تطلعاته ، حبه ، حياته العامة والخاصة ، مرحلة النضج والانتاج ثم مرحلة الذبول ودراما الموت .

أعطت الواقعية تحليلا للمجتمع المعاصر لها من أسفله الى أعلاه ، وعلى كل الصعد والمستويات الاجتماعية - الثقافية مجسدا في نماذج انسانية مستلثة بالحياة . ومن الصعوبة أن نعثر على مجال أو مسألة لم يتطرق اليهما الكتاب الواقعيون في أعمالهم . أشارف . لينين الى ان الكاتب الواقعي الروسي العظيم ليف تولستوي قد طرح القضايا العظيمة للديمقراطية والاشتراكية .

وانعكست في أعمال الادب الواقعي العالمي التجربة الخلاقة للأجيال المتعاقبة - لملايين من « الناس مروا على هذه الأرض » والغنى اللامحدود لعالم مشاعرهم وأفكارهم ، حتى يشعر المرء كأن فن الواقعية قد أعاد خلق العالم من جديد . لكن مع انطباع موح بواقعية كبيرة أعظم من الواقع ذاته . فعالم الواقعية الغني ليس انعكاسا ميتا كصورة مرآة ، بل واقعا مصاغا من جديد بشكل خلاق تجسد لوحاته وصوره ونماذجه « الحقيقة الكاملة للحياة » والانحرافات عنها بسبب أخطاء معينة أو محدودية فكرية - تاريخية راجعة الى عصر الكاتب وكامنة في فكره .

ارجع ف . لينين أهمية الكاتب الواقعي الروسي العظيم ليف تولستوي في التطور الفني للانسانية الى انه قد عكس في أعماله عصرا كبيرا بكامله من

التطور التاريخي للشعب الروسي . على هذا النحو من هذا المنطلق يجدر ان ننظر الى المغزى أو المضمون التاريخي - العالمي لأدب الواقعية النقدية بالكامل شكلت الواقعية النقدية عصرًا جديدًا في تطور الادب العالمي لانها عكست، في تصويرها الصادق على ضوء المثل الانسانية الديمقراطية ، عصرًا كاملاً مهما من التاريخ العالمي - عصر الثورات البورجوازية وصعود الرأسمالية ثم بداية انحطاطها ونضال الطبقة العاملة من أجل انتصار الاشتراكية . وهذا ما حدد المضمون الحياتي الجديد لأدب الواقعية النقدية الذي لاقى تجسيداً فنياً ، الى هذا الحد أو ذاك ، في إبداعات معظم كتاب تلك المرحلة .

جسد الكتاب الواقعيون في تصويرهم المجتمع المعاصر لهم انحطاط ثم مصرع طبقة النبلاء والإقطاعيين المزاحة عن مسرح التاريخ بقوى البورجوازية النامية وعملية تأقلم بعض فئاتها مع الأوضاع والظروف المستجدة . عكست الآداب الأوروبية كلها تقريباً ، وسلاحها الفن الواقعي ، في فترات زمنية مختلفة وفي أشكال تاريخية قومية خاصة ، عملية التحول من المجتمع الإقطاعي الى البورجوازي كأحد القوانين الأساسية للتطور الاجتماعي في القرن التاسع عشر . ألقى الضوء على هذه العملية بشكل واسع بلزائك الذي صور ، رغم تعاطفه مع الأرستقراطية النبيلة ، الحتمية التاريخية لسقوطها وهلاكها . وانعكست هذه العملية كذلك ، بمختلف جوانبها وبشكل غني ، في مؤلفات الكتاب الواقعيين الروس من بوشكين الى بونين والكسي تولستوي . عكست الاعمال العديدة للأدب الواقعي في أوروبا وأمريكا في القرن

التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حياة المجتمع البورجوازي بكل تناقضاته - الأشكال المختلفة للتقدم البورجوازي ، الظلم والاضطهاد الطبقي ، الطبقات « العليا » و « الدنيا » للنظام البورجوازي ، سيكولوجيا وأخلاق الإنسان - المالك وحقبة الناس البسطاء ، الأعمال التجارية الحرة والمعارك الطبقة الاولى بين الكادحين وسادة العالم الرأسمالي . أبدع الكتاب الواقعيون مجموعة غنية جدا من نماذج المجتمع البورجوازي من مختلف المراتب والمستويات بمن فيهم المثقفون ذوو الميول الفردية البورجوازية . كذلك وجد المحيط البورجوازي ، الأسرة البورجوازية ، التقاليد ، الاعراف والقيم التي نمت على أرض المجتمع البورجوازي - وجد كل ذلك تجسيدا فنيا في النماذج واللوحات التي قدمها أدب الواقعية النقدية . وهنا برزت منذ البداية ، في المضمون الفكري - التاريخي لهذا الادب ، سمات جوهرية ذات أهمية تاريخية - عالمية .

فخلال تطوره في القرن التاسع عشر « نصف الادب الواقعي التقدمي ، بتصويره الصادق للعلاقات الواقعية ، الاوهام السائدة حول طبيعة هذه العلاقات ، خلخل جذور تفاؤل العالم البورجوازي وبث الشكوك حول مايقال عن رسوخ أسس الاوضاع القائمة وعدم تغيرها » ، وكافت تلك ماثرة الواقعية ، رسالتها التاريخية التي لعب تحقيقها دورا عظيما في تطور الوعي الطليعي وفي تطور حركة التحرر على طريق الاشتراكية . وتحول الفن الواقعي الاصيل ، الناشئ في معبضان كفاح البورجوازية ضد الاقطاع الى رفض العالم الذي أقامته هذه البورجوازية نفسها .

فضح الادب بالتدرج وفي كل مجالات الحياة الوجه الاجتماعي والاخلاقي القبيح للطبقات المسيطرة في المجتمع البورجوازي الرأسمالي . رأى كارل ماركس في تصوير الانانية الاجتماعية للبورجوازي ، محدودية اهتماماته وفقر عالمه الداخلي ، مأثرة الواقعية الانكليزية . كتب بهذا الصدد مايلي : « كشف الكتاب الانكليز للعالم في أعمال روائية خالدة حقائق سياسية واجتماعية أكثر من جميع السياسيين والقادة الاجتماعيين والوعاظ الاخلاقيين مأخوذین معا وأعطوا وصفاً تقويمياً لجميع طبقات البورجوازية بدءاً من المراهبي والرأسمالي الكبير و انتهاء بالتاجر الصغير والموظف والسكرتير في مكتب المحامي . وصفهم ديكنز ، تيكيري ، السيدة بروتي كآناس متعجرفين ، منافقين ، مستغلين وجهلة رسم بلزاك بشكل تهكمي صور المراهبي العتيق غوبسك ، الممول الجشع نيوسينجن والبورجوازي الريفي المستبد السيد غراندي .

وأوضحت الواقعية بشكل مقنع كيف أصبح المال القوة المحركة للحياة ، مقياس كل القيم ، معيار النجاح والفشل ، ميزان الوضع الاجتماعي والسلطة الفعلية وكيف غداكل شيء مادة بيع وشراء ، تهدمت الاسرة ، وتشوهت علاقات الحب والصداقة . وبرز على المسرح التاريخي البطل الرئيسي للبورجوازية : الانسان - العدواني من مختلف المراتب والالوان - الجشع ، الوصولي ، الاناني اليأس العاطل عن العمل ، البطل النورستاني ذو العضلات الرخوة المترهلة ، المرأة التي تحولت الى سلعة ، أداة متعة وصار الجنس عندها المضمون والهدف الرئيسي للحياة ، البطل النرجسي المحب لذاته فقط ، البطل المستعمر الذي يمتص دم الزوج والملاويين والصينيين والهنود خدمة للبورجوازية .

سخرت الإرادة والعقل والطاقة والموهبة ، سخر كل ذلك من أجل الانتصار في المعارك ضد الآخرين لاحتلال موقع تحت الشمس على حساب الآخرين .

بعد ثورة ١٨٤٨ غدا أكثر وضوحا للكتاب الواقعيين الطليعيين في الغرب أن البورجوازية قد أصبحت طبقة رجعية طفيلية وعدوة للتقدم الاجتماعي ، في روايات زولا لاثير شخصية البورجوازي القرف والسخرية فحسب بل ويتنبأ الكتاب بهلاك الحضارة البورجوازية (باريس) . وفي روايته « الصديق اللطيف » عرى موباسان الاخلاق التجارية لنواب البرلمان والصحافة البورجوازية وفي « التاريخ المعاصر » قال اتانول فرانس « واضح ان البورجوازية قد تعفت تماما ، نعم وهذا ماتشهد عليه قضية دريفوس » . يرسم برنارد شو في مسرحياته في تلك الفترة لوحة هجاء للمجتمع البورجوازي ، كما وتصدر في عام ١٩٠٦ رواية غالوسسي « المالك » .

وحتى في ألمانيا « اليونكرية » ، لم تلعب البورجوازية في نهاية القرن التاسع عشر نفس الدور الذي لعبته في انكلترا وفرنسا ، لكنها (أي البورجوازية) أثارت النقمة والغضب لدى الكتاب التقدميين . في آب ١٨٩١ أرسل الكاتب الواقعي الألماني فاتتاني رسالة الى ابنته يقول فيها : « اني أكره كل ماهو بورجوازي بنفس الاندفاع كما لو كنت اجتماعيا - ديمقراطيا لدودا » . وألف رواية « السيدة اينى تراييل » المعادية للبورجوازية ، حيث قدم نموذج المرأة التاجرة الجشعة التي تغطي جشعها الى الذهب بالنفاق والحديث المراوغ عن الطيبة وفعل الخير ، ثم رواية « اينى بريست » التي تحدث فيها عن المصير التراخيدي للمرأة في المجتمع البرجوازي - الارستقراطي .

تلت ذلك رواية توماس مان الشهيرة التي قدمت نموذج البورجوازي بودنبرغ وجسدت في مغزاها الاجتماعي-التاريخي المصير النموذجي للمجتمع البورجوازي في أوروبا الغربية . جاء في كتاب ادماي وسلمانوف حول توماس مان مايلي : « في شخصية وصورة ومصير بودنبرغ عرفت البورجوازية الأوروبية نفسها عند عتبة العصر الجديد عندما لم يكن قد بقي للحرب العالمية الأولى ، لبداية الثورة العالمية ولنهاية العصر البورجوازي سوى خمسة عشر عاما على وجه التقريب » .

صور الكتاب الواقعيون في أوروبا الغربية في بداية القرن العشرين بصدق وعمق كافيين الطابع البورجوازي - الاناني النفعي لنمط الحياة ، التقسيم الرأسمالي للعمل المهلك للإنسان ، الفئات المراتبة الطفيلية ، حدود اهتمامات الإنسان - المالك والمصير التعتس للإنسان البسيط .

وكما في الأدب الأوروبي الغربي قوي في الأدب الروسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتجاه فضح وتعرية البورجوازية والرأسمالية . أدبر عهد الارستقراطية النبيلة وغدا مصيرها الآن مثيرا للرثاء أو للسخرية والهزاء في الغالب . لكن « سيد » الحياة الروسية الجديد - التاجر، الصناعي رجل الأعمال لا يوحى بالآمال ولا يثير التعاطف . ومن هذا المنطلق صورت نماذج التجار والصناعيين في مسرحيات اوستروفسكي وروايات مامين سيبرياك « الملايين الوافده » ، « العش الجبلي » وفي قصة كوبرين « مولوخ » . لا يثير التعاطف حتى لوباخين بطل تشيخوف ولايسر القارئ ان كان من نصيبه بستان كرز رائع . ولكن تشيخوف فهم جيدا ان في البخار والكهرباء حبا للإنسان

أكثر من التقشف والزهة التولستوي ، لذا حيا التقدم الصناعي في روسيا ورحب به معتبرا البورجوازية قوة تقدمية الى حد معلوم . لكنه أوضح أيضا في قصصه « مملكة النساء » وغيرها أن التسابق من أجل الغنى لن يعطي أي معنى أخلاقي للحياة .

أوضح الادب الروسي ان البورجوازية الوطنية لاتتسم بالقوة ولا الثقافة ولا الطموح ، بل انها على العكس مذهلة في حقارتها الفاضحة ، في جنبها وجهلها وبشكل خاص في طفيليتها . وتتجلى ماثرة الكتاب الواقعيين في انهم اتبها وأشاروا الى ضعف البورجوازية الروسية التي أصابها العجز في الوقت الذي كان يجري في البلاد نهوض الرأسمالية . وأوضحت الواقعة أسباب هذه الظاهرة : - وهي طابع الجمع الوحشي والجان لتطور الرأسمالية والبورجوازية في روسيا . فمنذ أواسط القرن التاسع عشر عكست أعمال كثيرين من الكتاب وقوف الانسان من الوسط الشعبي والمثقف الخارج من صفوف الطبقة الوسطى ضد الارستقراطي والبورجوازي . يوافق انجلس على رأي احدى الصحف الالمانية في أن بطل الرواية المعاصرة هو « الفقير » - الطبقة المحترقة التي غدت حياتها ومصيرها وأفراحها وآلامها تشكل مضمون الروايات ... وهذا الاتجاه بين الكتاب الذي تنتمي اليه جورج صائد ، ايجن سيو ، بوز وغيرهم يعتبر ، بدون شك ، راية العصر » وخطوة عظيمة الى الامام على طريق التصاق الادب بالحياة الشعبية .

كثيرا ما جذب الوسط الشعبي اهتمام الكاتب الواقعي التقدمي ذا الميول

الديمقراطية وعثر فيه على نماذج جيدة مثيرة قوت في نفسه الثقة والايمان بالمستقبل . وماكان للواقعية أن تصبح ظاهرة عظيمة في الادب العالمي لوانها عبرت بلا مبالاة أمام صور ولوحات الحياة البائسة الشقية التي تحياها الفئات الشعبية الدنيا وملايين الناس البسطاء . اكتسب موضوع الانسان الصغير ونماذج المذلين المهائين تطورا واسعا في أدب الواقعية . جسد هذا الادب النموذج الخلقي الرفيع لأفضل الناس من الوسط الشعبي وكشف في المصير التراجمي الذي أحاق بأفضل الناس الحقيقة القاسية الصعبة لحياة الطبقات الكادحة في ظل الرأسمالية .

قام الادب الديمقراطي الروسي بخطوة كبيرة ضرورية تاريخيا الى الامام في تصوير الوسط الشعبي ونماذجه وأشكال حياته ، ولم يكشف أي أدب آخر من آداب أوروبا الحياة الشعبية بمثل هذا العمق والاتساع وبكل أشكالها ومظاهرها المختلفة . وهذا يخص بالدرجة الاولى الطبقة الفلاحية - واقعها ، عاداتها ، تقاليدها ، قيمها الاخلاقية وعلاقاتها بالطبيعة - الامر الذي وضعت بدايته « رحلة من بيتربورغ الى موسكو » لراديشيف ، قصص غريغوريفتش « مذكرات صياد » لتورغنيف . خطا أدب الستينات والسبعينات - نيكولاي وفليب اوسيننسكي ، نكراسوف ، ويشيتنيكوف - خطوات أكبر الى الامام في الاستيعاب الفني لكل جوانب وظواهر الحياة الشعبية ، وليس للخارق المتميز فيها فقط . تبرز في أشعار كولتسف وفي الادب الروسي بوجه عام في السبعينات صور العمل وتراكم التجارب ، والخبرات الضرورية تاريخيا

من أجل التطور اللاحق للادب المرتبط مباشرة بمصائر ملايين كثيرة من جماهير الكادحين .

لم يكشف الكتاب الديمقراطيون الخصائص الايجابية للوسط الشعبي وقواه الخلاقة وحسب ، بل انتقدوا أيضا الجوانب المتخلفة للوعي الشعبي . اعتبر تشيرنيسيفسكي التصوير الواقعي الصادق بدون أصباغ للحياة الشعبية في قصص اوسينسكي « بداية التغير » في التصوير الفني للشعب . والى جانب تقييمهم الرفيع للجوهر والطابع الشعبي بوجه عام غالبا ما كان الكتاب الديمقراطيون يعربون عن قلقهم وحزنهم بصدد تخلف وعي الشعب وكانوا قساة في تقديمهم أحيانا لهذا الفلاح الذي كانت حريته وسعادته غالية على قلوبهم .

ARCHIVE

أشار لينين أكثر من مرة إلى أن تطور الرأسمالية أدى إلى نهوض الشعور بالشخصية لدى الانسان وفي الوسط الشعبي أيضا . وجسد الادب الواقعي هذا الأمر . فقد عكس الادباء ، خصوصا اوسينسكي وكورلينكو ، نقطة الشعور بالشخصية في الوسط الفلاحي من خلال نماذج الفلاحين المتمردين الذين أعلنوا بجرأة لمن يضايقهم أن « الحقوق أعطيت للجميع الآن » . وكشفت الواقعية الطابع المتناقض للتطور الاجتماعي للطبقة الفلاحية في ظروف الرأسمالية . فكثيرا ماخرج من أوساط الفلاحين المتطورين الميسورين إلى حد ما الكولاك - « اكلة العالم » الذين صورهم الادب الروسي في السبعينات والثمانينات بشكل رائع . عن مثل هذا الكولاك كتب اوسينسكي مايلي :

« انه يلتهم جيرانه ، يلمظ ويلبس لسانه فقط ثم يمسح يديه فمه القذر » .
أيقظت الرأسمالية الشعور بالشخصية ، لكن عملية اليقظة هذه اتخذت في
أحيان كثيرة في الوسط الشعبي اشكالا صاغتها الرأسمالية نفسها : « كل واحد
لنفسه واله واحد للجميع » ونذكر في هذا المجال بأخلاقيات الوسط الفلاحي
المصورة في مسرحيات ليف تولستوي وفي قصص تشيخوف وبونين .

يشير الادب الغربي الى ظواهر مشابهة في أوروبا الغربية أيضا . كتب
النقاد الفرنسي التقدمي بيرغامار عن موباسان مايلي : « موباسان في أدبنا
أحد أوائل من اكتشف تلك الحقيقة الهامة وهي ان الشعب أصبح حامل وحافظ
المشاعر والتطلعات الأكثر نبلا وإنسانية : العظمة ، الكرامة ، شعور الشرف
والحس الوطني الاصيل » . غير أن موباسان نفسه في القصص الفلاحية ،
وزلا وليمونييه في رواياتهما يصورون أيضا الاخلاق والعادات والعلاقات
المفعمة بالجشع والحسد والنفعية والانانية المتفشية في الوسط الفلاحي بفعل
تأثير الاوضاع البورجوازية الرأسمالية . يبرز برت - هارت وجاك لندن
في أعمالهما الشخصيات القوية الخارجة من الوسط الشعبي المفعم بالرجولة ،
لكن ككشف أيضا بشكل مقنع الطابع المشوه المسوخ للتقدم البورجوازي
- الرأسمالي من خلال المصائر الدرامية للناس البسطاء .

رافق تطور الرأسمالية في مختلف البلدان تحول قسم كبير من الفلاحين
والحرفيين الى بروليتاريا وكذلك املاقتهم الشديد - الامر الذي خلق درامات
إنسانية كثيرة أشار اليها الادب الواقعي في حينه . وانتشرت في روسيا بشكل

واسع في نهاية القرن التاسع عشر ظاهرة التشرذم في أوساط القسم الجائع المحروم من السكان . وصور الأدب بشكل رائع نماذج « روسيا المتشرذمة » وصولاً إلى الناس الذين صاروا في « الحضيض » كما برزت على صفحاته صور « العصاة » ، أولئك الذين يمثلون في الغالب دور الناس الذين هصرتهم الحياة وفقدوا علاقتهم بأجواء العمل والكدح .

إذا نظرنا إلى فن الواقعية بالأجمال وقيمناه من زاوية تصويره النفسي لطبقات المجتمع الاقطاعي والبورجوازي ، فيجدر الاعتراف بأنه قد ألفت الأضواء الكاشفة من قبل الواقعية على كل طبقة اجتماعية . كشف الكتاب الواقعيون في القرن التاسع عشر في أعمالهم الطابع والدور الاجتماعي ، الوضع المتغير والأهمية التاريخية كذلك لكل من مجتمع النبلاء والبورجوازية والطبقة الفلاحية ومختلف فئات المشفقين . وإذا كانت مآثرة دخول الطبقة العاملة ، كموضوع اجتماعي ترجع إلى الرومانتيكية - بايرون ، شيللي ، هوغر ، جورج صاند ... - فإن الواقعية النقدية بالذات صورت حسب إمكاناتها ، وضع الطبقة العاملة في ظل الرأسمالية وأشارت إلى تنامي استيائها واحتجاجها ضد هذا الوضع . عالجت الواقعية صراع العمل ورأس المال بشكل عميق في العديد من الأعمال .

في البداية دخل موضوع الطبقة العاملة في الأدب الواقعي دونما ارتباط مباشر بقضايا الاشتراكية ، بل كتصوير فني لظاهرة جديدة في الحياة الاجتماعية تستحق كغيرها الاهتمام من جانب فن الواقعية . ففي روايته « لوسيان ليفين »

يصور ستندال اضراب العمال • في قصة « الفتاة ذات العين الذهبية » يتطرق بلزاك الى لوحات الشقاء والعمل المرهق للعامل ويعبر عن استيائه من استغلاله البشع ، دون وازع من ضمير ، من جانب الرأسمالي المالك ، كما ان أحد أبطاله في « لقاء ان في عام واحد » عامل طباعة باريسى وتبرز صورة العامل الانكليزي في أعمال ديكنز ويطرح موضوع الطبقة العاملة في الواقعية الالمانية في في الاربعينات • وهكذا نرى انه يتنظر هذا الموضوع مستقبلا عظيم في تطور الادب العالمي •

تعاطف الكتاب الواقعيون العظام في النصف الاول من القرن التاسع عشر مع الانسان الكادح واشفقوا على شقائه ووضعوا البأس ، لكن الطابع الفكري — الفني لمعالجة موضوع الطبقة العاملة في أعمال بلزاك ، ديكنز ، فلووير يكشف قصور فهمهم النضال الثوري للبروليتاري • قال بلزاك على لسان الدكتور بيناس أحد أبطاله القرييين من نفسه في رواية « العيادة الريفيه » مايلي : « اعتقد اني قد برهنت بالفعل عن اخلاصي لطبقة الفقراء المحرومين ، وآمل الا أنهم بأني أريد لها الشر • لكن مع تقديري لعرقها وجهدها وانحنائي أمام صبرها وخضوعها أؤكد انها غير قادرة أو مؤهلة للمشاركة في تسيير شؤون البلاد •

البروليتاريون بتصوري أطفال الشعب الكبار ويجب أن يتقوا تحت الوصاية • كان لمثل هذا التقسيم أساس تاريخي معين في الربع الاول من القرن التاسع عشر عندما كانت الطبقة العاملة تنتظر المساعدة من الخارج كما أشار

قضية العمال ، كما عرف شلغونوف القارئ الروسي على مؤلف انجلس « وضع الطبقة العاملة في انكلترا » .

لاقت قضية الطبقة العاملة تصوراً فنياً في أدب الستينات . ففي عام ١٨٦٤ كتب نيكرا سوف قصيدته المشهورة « الخط الحديدي » التي برزت فيها لأول مرة في الشعر الروسي صورة العامل ، وبدأت بعدها عملية الاستيعاب الفني لعالم العامل وليس الفلاح فقط .

يرسم غليب اوسينسكي في « الدمار » صورة العامل الطليعي مخائيل ايفانوفيتش من تول . ويعكف كاتب ديمقراطي آخر هو فيودور ريشينيكوف على كتابه روايتين عن واقع البروليتاريا في الاورال « عمال الجبال » ، « أين الأفضل » . واستطاع الكاتب في هذين العملين تجسيد الخصائص والسمات الخاصة بحياة وميول وأمزجة عمال الاورال أنصاف الاقنان، ينقل ريشينيكوف كذلك البوادر الاولى للاحتجاج والاستياء في الوسط العمالي .

يطور موضوع الطبقة العاملة في الستينات كاتب ديمقراطي آخر هو فيودور اومولوفسكي في روايته « خطوة فخطوة » — ١٨٧٠ . كان الطابع المثالي غالباً في تصوير نماذج العمال ، وكان لهذه النماذج جذور في الواقع . لكن « عبرت مظاهرات الستينات عن بعض اليقظة في الوعي » . وفي هذه الفترة بدأت تبرز شريحة غير كثيرة العدد ، لكن ذات تأثير ، من الكوادر البروليتارية المتعلمة في المدن التي تفتش عن الطريق القوية للتحرر والخلاص من الفقر والظلم والقمع .

[illegible]

تحت إشراف: د. محمد عبد الحليم عبد الله
مراجعة: د. محمد عبد الحليم عبد الله
مراجعة: د. محمد عبد الحليم عبد الله
مراجعة: د. محمد عبد الحليم عبد الله
مراجعة: د. محمد عبد الحليم عبد الله

— *Journal of the American Medical Association*, 1997

[illegible]

1. **Identify the main idea** of the passage. What is the author's primary purpose in writing this text?

[illegible]

والاحتجاج ومغزيا بالتالي الواقعية الروسية •

خلقت المآسي والعذابات الشعبية واستياء جماهير الكادحين في الريف والمدينة غالبا الامزجة والميول الثورية في الوسط الشعبي ذاته وفي أوساط المثقفين الديمقراطيين الطليعيين • كان القرن التاسع عشر عصر الثورات البورجوازية والحركات التحررية القومية المعادية للاقطاع المعبرة عن تطلعات الجماهير الكادحة التي غدت أساس وأداة هذه الثورات والحركات • ووجد هذا الامر انعكاساته أيضا في المضمون الفكري — التاريخي لأدب الواقعية النقدية •

ظهرت نماذج الثوريين في الأدب العالمي منذ عصر الثورة الفرنسية في مؤلفات غوته وشيللر • وفي شكل رومانتيكي ظهر الثوريون — الديمقراطيون على صفحات روايات جورج صائد وهوغو، وتجد نماذجهم تجسيدا فنيا في الكاتبين بلزاك وستندال — معاصري الحركة الثورية الديمقراطية في فرنسا وإيطاليا • وقد أشار انجلس الى مآثرة بلزاك في تصويره الصادق لثوريي زمانه المشتركين في انتفاضة باريس في الخامس والسادس من شهر حزيران لعام ١٨٣٢ • ورأى ستندال اناسا حقيقيين صميمين في وسط الفحامين الايطاليين • وجدت الروح الثورية تجسيدا لها في التيارات الثورية الكلاسيكية والرومانتيكية، ولاحقا وجدت التصوير الموضوعي في لوحات واقعية وفي نماذج مجسدة لمراحل هامة من تاريخ الثورة من عهد كوثفانت وحتى كومونة باريس •

ظهر نماذج الثوريين على صفحات الأدب الروسي في شخص بطل

فوئتش روايته المعروفة « ذبابة النعرة » تحت تأثير أجواء الأدب الطليعي الروسي .

استطاع أدب الواقعية النقدية تجسيد سمات المناضلين الثوريين في الماضي - نقائهم الأخلاقي وسمو تطلعاتهم الانسانية ، وإخلاصهم لقضية الكفاح من أجل الحرية ، كما صور فنيا ، الى جانب ذلك ، مصيرهم التراجيدي المرتبط بالاختافات التاريخية للحركة التحررية .

وفي أوساط الطبقة المسيطرة وبين صفوف المثقفين التقدميين ، وليس في الوسط الشعبي فقط ، أناس مخلصون شرفاء غير ثوريين ، لكنهم متعاطفون مع قضايا الشعب ومشفقون على آلامه . يتمنون بصدق الخير العميم ويتطلعون الى العدالة . تمر نماذج الأبطال الخارجيين من صفوف الطبقات المسيطرة والراغبين بتبني وجهة نظر المصالح الشعبية كسلسلة طويلة في الادب العالمي في القرن التاسع عشر . وقد دل ظهور مثل هذه الشخصيات لوحده على اعتراف من جانب الادب التقدمي بضرورة التغيير الاجتماعي للحياة .

الى جانب ذلك صور العديد من أعمال الواقعية الاوروبية الغربية في القرن التاسع عشر بدءا من بلزاك ، وفي الادب الروسي بدءا من « مصيبة من العقل » لغريبايدوف انهيار الاوهام الفكرية التي كانت لدى كثيرين من الشباب ذوي الميول التقدمية من شتى الاوساط الاجتماعية . وتجلى هذا الانهيار في عجز الانسان ذي الارادة الحرة والتفكير المستقل ، في اصطدامه بقوى الجمود والرجعية ، في خيبة الامل اليوم فيما كان أمس حقيقة ، وفي

الحلول الوسط والمصالحة ومن ثم في الانغلاق والانكفاء على الذات - الأمر الذي وجد تعبيرا له في التأملية الذهنية لدى العديد من المثقفين التقدميين غير الراغبين بخدمة البورجوازية ، انما وغير المرتبطين بنضال الجماهير الكادحة . وتعتبر دراما سولنس بطل ايسن الذي ألقى بنفسه من أعلى البرج الذي بناه ، الى حد ما ، رمزا لمثل هذه الدرامات الروحية . وبالمقابل كان أساس الرضى والفرح في مثل هذه الحالات والاشكالات الحياتية مرتبطاً « بالسعادة البورجوازية الصغيرة » (بامبلوفسكي) التي عنت قبل كل شيء المصالحة مع الحياة ، والتراجع عن المثل الاعلى السامي وفقدان الكرامة الانسانية - الامر الذي صورته تشيخوف بدقة وصدق . وعالجت أعمال واقعية كثيرة هذه المسألة - مسألة المثقفين التقدميين في القرن التاسع عشر - (الانسان الزائد) . جسد الادب الواقعي الروسي المصائر الدرامية للمثقفين الطليعيين الروس ويكتفي أن تذكر هنا بأعمال غريبايدوف ، بوشكين ، هرزن ، تورغنيف ، تشيخوف وغيرهم ...

يمكن أن نقول وبدون مبالغة أن تصوير التناقضات القائمة بين التطور الروحي - الخلقى للفرد وبين الظروف الاجتماعية غير المواتية لهذا التطور قد شكل الموضوع الرئيسي الهام للادب الواقعي في أوروبا وللواقعية الأمريكية فيما بعد . وتكمن هذه التناقضات بهذا الشكل أو ذاك في أساس الصدامات والصراعات الحياتية القائمة في أهم أعمال الادب العالمي . وجسد العديد من النماذج الادبية الحية التي خلقها فن الواقعية في القرن

التاسع عشر النضال البطولي المتواصل أبدا للبشر من أجل كرامة الانسان وسعادته .

ثمة صفحات شاعرية خالدة وأشعار غنائية كثيرة تصور مشاعر ومعاناة انسانية كالتعلق بالوطن ، الحب ، الصداقة وصفات شخصية كالرجولة والشجاعة خالدة وأشعار غنائية كثيرة تصور مشاعر ومعاناة انسانية كالتعلق بالوطن ، الحب ، الصداقة وصفات شخصية كالرجولة والشجاعة في مواجهة شدايد الحياة ، وأخيراً الحب للاطفال وللأهل ، وبصرف النظر عن كل توجهه وميله النقدي تطلع الكاتب الواقعي دائماً ، عندما كان يلحظ شيئاً ما ايجابياً وجيداً الى تصويره من أجل ترسيخه في الواقع .

لكن ، رغم ذلك ، فقد كشف الأدب الواقعي بشكل واسع تلك العملية التي أسماها غوركي انحلال الشخصية كتب غوركي عام ١٩٠٩ ما يلي : « نأمل أن يكتب أحد الرجال المخلصين الشرفاء كتاباً حزينا بعنوان « انحلال الشخصية » يعبر فيه بوضوح عن عملية الافقار الروحي المستمرة للانسان وتقلص ذاته » . ويعتبر تاريخ الأدب العالمي وفن الواقعية في المقام الاول خير شاهد على هذه العملية .

تقود عملية انحلال الشخصية الى تفكك وتفتيت النماذج الانسانية التي يضطر الكتاب الواقعيون في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للرضى والتسليم بها .

ان موضوع « الانسان الصغير » الذي شغل الأدب التقدمي الى حين ،

مع احتفاظه بأهميته ، تحول في أعمال تشيخوف ، وموباسان وغيرهم بالتدرج الى موضوع الانسان « الضئيل » الضيق الافق الذي لا تتجاوز تطلعاته اطار الحياة اليومية الخاصة بالبورجوازي الصغير .

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أشار كثيرون من الكتاب النابئين في الغرب وفي روسيا - فرلين ، بورجييه ، ايسن ، تشيخوف ، بلسوك الى الانتشار المتزايد « للتعب النفسي » ومزاج اليأس وعدم الايمان بالحياة وكذلك الى انقسام الشخصية الذي أشار اليه دوستوفسكي في « المثل » . كتب دوستوفسكي بهذا الصدد ما يلي : « انها فكرة رائعة ونموذج عظيم من حيث أهميته ومغزاه الاجتماعي وقد كنت أول من تنبأ به » .

وتغدو دراما انقسام الشخصية واحدة من أهم مواضيع الادب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اذ يفقد انسان المجتمع البورجوازي وضوح شخصيته واستقلالها .

ويتفاقم اغتراب الانسان عن المجتمع والناس عن بعضهم حتى في الاسرة - الامر الذي وجد تصويرا له في الكثير من أعمال الادب العالمي في نهاية القرن التاسع عشر والثالث الاول من القرن العشرين من قصة « ايفان ايليتش » لتولستوي الى رواية فرانسوا مورياك « عقدة الافاعي - ١٩٣٣ » وتؤلف عملية « تقزم » الانسان واغترابه في ظل ظروف مجتمع الملكية الجانب الهام والجوهري في مضمون أدب الواقعية النقدية .

في نهاية القرن التاسع عشر يعاني الكتاب الواقعيون أكثر فاكتر ، في

الغرب وفي روسيا ، مصاعب جدية في خلق النموذج الايجابي الذي من شأنه تجسيد الافق التاريخي للتطور الاجتماعي . فيحاول كثيرون منهم ارضاء هذا التطلع باللجوء الى مجال الابداع الذهني للانسان وجانب العلاقات الاخلاقية والسلوكية لحياة البشر مثل الحب ، الصداقة .. وغيرها . لكن واجهت الكاتب هنا محدودية الامكانيات والفرص التي يتيحها الواقع .

كاف الاعمال القذة في الماضي تستقي مادتها من المآسي والشقاء والعذابات التي تعترض سبيل حياة الانسان ، أي كان الجميل والرائع في الفن يأتي من تصوير القباحة والتشوه القائمين في الواقع . لم تكن غاية المعالجات الفنية المختلفة والتصعيد الدرامي والرواية القديمتين وكذلك معاناة البطل في الاشعار الغنائية التي تصور طاقة الانسان ، حماسة ونشاطه وقواه الخلقية ، تثبيت قيم انسانية معينة بقدر ما كانت موجهة من أجل الصمود في الكفاح من أجل الحياة وتجاوز الظروف الصعبة غير المواتية . كان على تولستوي ، مثلاً ، أن يخصص القسم الاكظم من روايته « أنا كارينا » لتصوير مصائب ومآسي أبطاله .. ولهذا السبب اتخذ تصوير الانسان في الغالب طابعاً سلبياً .

من أجل التأكيد على شيء ما سام أو ترسيخه نادراً ما كان الكاتب الواقعي يجد مستنداً في الحياة . وقد عكس فقدان البطل الايجابي الحركة العامة المتصاعدة في ذلك الوقت لعملية انحلال وبؤس شخصية الانسان في المجتمع البورجوازي - الأمر الذي كان لا بد أن يجد صده في مصائر الفن الواقعي .

— ٣ —

كان تطور الايديولوجيا البورجوازية الديمقراطية. الارضية الفكرية للواقعية في القرن التاسع عشر بشكل رئيسي . وكانت الافكار الديمقراطية والانسانية في أشكالها ومظاهرها المختلفة بدءا من الاعتراف بالانسان سيد مخلوقات الطبيعة ، حامل العقل وخالق الحياة ، وانهاء باعلان حرية ومساواة واخوة الانسان كأساس لحياة المجتمع الانساني العامل الفعلي للتطور التقدمي للادب العالمي وبالاخص أدب الواقعية .

قامت أفكار الحرية والمساواة والاخوة من خلال فضال الشعوب ضد العهد الاقطاعي القديم وتجلت بأقوى واسطع مايكون ابان الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر التي فحرت حماسة جميع كتاب العالم التقدميين . بيد أن الثورة الفرنسية قادت الى قيام النظام البورجوازي — الرأسمالي وغدت مملكة العقل التي وعد بها المنورون مملكة البورجوازية في آخر الامر . منذ ذلك الحين بات كثيرون من رجال الثقافة ، بمن فيهم الكتاب الواقعيون، يتساءلون الى أي حد مفيدة فكرة تغيير المجتمع عن طريق الثورة ، حيث تقطف الطبقات المسيطرة بشكل رئيسي ثمار جميع الثورات المتعاقبة . أما الناس البسطاء فمازالوا، كما في السابق، يرزحون تحت نير الظلم والعبودية ويحصدون المآسي . اعتقد شيللر الذي رأى قبل غيره ثمار الثورة البورجوازية الفرنسية أن تغيير الحياة والانسان بواسطة الثورة غير ممكن ، بل يجب من أجل ذلك السير بطريق التطور السلمي الذي يعتبر الفن والتربية الجمالية العامل الاساسي فيه . وعن « الثورات الفاشلة » كتب الكاتب الرومانتيكي فوديه والواقعي

بذلك . واعتبر ديكنز القرن السابع عشر عصرا عظيما في تاريخ انكلترا وكتب رواية مفعمة بروح التعاطف مع الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر . لكنه لتبرمه وعدم رضاه بواقع زمانه فضل ان يعلق الآمال لاعلى الثورة ، انما على الاصلاحات السلمية بروح النزعة الانسانية والعدالة الاجتماعية .

وفي الادب الروسي أيضا تصادفنا آراء وأهواء تشكك بالطرق الثورية لتغيير الحياة . فقد برزت شكوك من هذا القبيل لدى هرزن مثلا وهويراقب في الغرب ثورة ١٨٤٨ ، لكنه تجاوز ذلك فيما بعد تحت تأثير المناخ الشوري السائد في روسيا في ستينات ذلك العصر ، فقد دعا الديمقراطيون الثوريون روسيا الى العمل الى الثورة . لكن الثورة الفلاحية الحاصلة هنا قادت الى نفس نتائج ثورة اليعاقبة في فرنسا من الناحية الاجتماعية - الاقتصادية في نهاية القرن الثامن عشر - أي الى قيام قلام بورجوازي - رأسمالي .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وهذا ما حصل لدوستوفسكي . فبعد الشرخ الذي أصاب تطوره الروحي والنفسي يصل الى استنتاج عام مؤداه ان ثورة ١٧٨٩ لم تقدم للانسانية سوى الضلال والشر والعنف ، وكانت عاقبتها نابليون روتشيلد وسطوة الجشع الحيواني . كان برنارد شو بعيدا من حيث المواقع الفكرية عن دوستوفسكي ، لكن كانت تدور في رأسه أشباه هذه الافكار . كتب متذكرا عن العنف اليعقوبين ما يلي : « وماذا كانت النتيجة ؟ فرنسا الامبراطورية وآل روغون وفرنسا الجمهورية وفضيحة بانما وقضية دريفوس . هل كان ذلك يستحق كل هذه المذابح للنساء والرجال أيا كانت الاسباب والنوايا . ومن أجل هذه النتائج هل يقرر انسان سليم التفكير حتى ذبح فأر » .

الى مثل هذه الخلاصة توصل ليف نيكولايفيتش تولستوي . كتب في دفتر مذكراته عام ١٩٠٢ مايلى : « النصف الاول من القرن التاسع عشر بكامله ملء بمحاولات نسف النظام الحكومى الظالم بواسطة الثورة والعنف لكن كل هذه المحاولات قادت الى رد فعل والى تعزيز سلطة الطبقات الحاكمة » . لم يقصد بذلك « الثورة الفرنسية الكبرى » بل وثورتى ١٨٣٠ و ١٨٤٨ . وبصدد « المحاولات الروسية للثورة عن غير طريق القصر » بدءا من ١٤ كانون أول ١٨٢٥ (ثورة الديسمبرين) يشير تولستوي الى انها جميعا لم تستطع الانتهاء الى شيء سوى تقويل الكثير من الناس الجيدين والى رد فعل عنيف من جانب الحكومة » .

كان ثوريو السبعينات الشجعان « أنابا جيدين » في نظر تولستوي وظهر تورغنيف أيضا . لكن العنف والكفاح الثوري أربعا تولستوي ولم يسفرا برأيه عن أية نتائج مثمرة . كشف تورغنيف دراما الحركة الشعبية الثورية في السبعينات بصدق في روايته الارض البكر . ويرى الشك بقدرات الثورة من خلال تصوير مصائر الثورة الفرنسية ١٧٩٢ - ١٧٩٤ في رواية أفاتول فرانس « الآلهة العطشى » المكتوبة بعد فشل ثورة ١٩٠٥ في روسيا التي هزت نهايتها التراجيدية المفجعة الكاتب الفرنسى العظيم المتعاطف معها .

لكن الكتاب الانسانيين في الماضى الذين رفضوا الثورة لم يفهموا انه لايسكن تخليص الشعب من مضطهديه بطريقة أخرى . فقد عول أغلب الكتاب الواقعيين على التقدم السلمى وربطوه بالاصلاح الاجتماعى ، بتطور الحريات

الديمقراطية والعلم والفن والمعارف وبانتشار مبادئ الانسانية والعدالة .
اعتبروا أناس الروح - المثقفين « ملح الارض » وعليهم علقوا الآمال في تحسين
الحياة وفي التطور التقدمي للانسانية . أعلن تورغنيف ذلك بصراحة في جداله
مع هرزن في الستينات . وعلق صديقه فلوير كذلك كل الآمال على رجائه
الفكر والعلم . وينطبق هذا الامر ، الى هذه الدرجة أو تلك على زولا ، فرانس ،
شو ، ويلز رومان رولان ، وعلى كثيرين من الكتاب الواقعيين في القرن التاسع
عشر وبداية القرن العشرين .

كان لمثل هذه التمنيات والآمال أساس تاريخي موضوعي . فقد كانت
شعارات الحرية والمساواة والاخوة التي أطلقتها الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن
عشر نصرا عظيما للعقل الانساني . تطورت الفلسفة والعلوم الاجتماعية
والطبيعية ونفذت بعقود تدريجيا الى حياة المجتمع وأسرار الطبيعة ، ومع كل
انجاز جديد للفكر الاجتماعي الطبيعي ، كانت تنتعش ثانية الآمال المعلقة
على العقل الانساني ، على أناس الروح ومقدرتهم على تغيير العالم وتحسينه .
وسعى كثيرون من الكتاب الواقعيين لارضاء رغبتهم في تجسيد المثل
الاعلى الايجابي فتوجهوا نحو مجالات الابداع الذهني للانسان من علم وفن
وتقدم تقني . فأعطى أدب الواقعية على امتداد القرن التاسع عشر ومطلع
القرن العشرين العديد من النماذج الرائعة الفذة لأناس الفن والعلم مكبرين
سعادة الابداع والخلق واعطاء الذات كليا للقضية المحببة - فمن أبطال
بلازاك الى جان كريستوف لرومان رولان ومن فاوست غوته الى فاوست
توماس مان .

قال رومان رولان بما يشبه صيحة الرضى : « آه يا سعادة الخلق الالهية ثمة سعادة واحدة فقط هي سعادة الخلق • يعيش فقط من يبدع » • لكن في مجال الفن أو العلم فقط كانت ثمة امكانيات وفرص متاحة أمام الكاتب الواقعي النقدي لأن يعكس صورة السرور الذي يتركه العمل الخلاق في الانسان •

وهنا يكمن السبب الذي جعل الموضوع الانساني للفن والعلم موضوعا مرغوبا ومحبا لدى كثيرين من كتاب الواقعية في الماضي • لكن ضاق مجال هذه الامكانيات والقرص مع الزمن أمام ضرورة تصوير الطابع الدرامي لمصير العالم أوالفنان الشريف في ظل أوضاع عالم الملكية •

طرح بعض الكتاب فكرة التربية الجمالية للمجتمع من جديد ورأوا في الفن وسيلة انقاذ من تفاهات المجتمع البورجوازي ، وقلعة للروح • لكن لم يكن ذلك في كل مرة سوى شكل جديد من اللجوء الشيللري غير الموفق الى مملكة الجبال • كان بلزاك قد أوضح قبل ان الرأسمالية تحول كل القيم الروحية الى سلعة • أما كيف يغدو الفن والكتابة عموما مادة للتجارة فقد تحدث عن ذلك رولان في « سوق في الساحة » ومن بعده درايزر في روايته « العبقرى » •

وبدت وهمية كذلك الآمال المعلقة على دور العلم والتقنية في التغيير الاجتماعي للمجتمع • ففي عصر الواقعية النقدية تطورت في الادب العالمي روايات الخيال العلمي التي تفذت بجرأة على يد جول فيرن ، هربرت ويلز وغيرهم مستندة على معطيات العلم والتقنية الى مستقبل التقدم العلمي - التقني القريب والبعيد للانسانية كاشفة ، في اشكال طوباويات اجتماعية ، تطور

المجتمع الانساني . لكن رأى الكتاب فيما بعد سريعا عدم استقلالية العلم والعلماء من كيس النقود « الخالد » - أ. دوديه ، « النفق » - كيلرمان ، روايات بير آمبا) . وأوضح هربرت ويلز نفسه عبثية طوباويته الاجتماعية التكنوقراطية . ففي روايته « عندما يستيقظ النائم » عندما يستيقظ الحالم والمخترع العظيم غريم بعد مائتي عام لا يرى في انكلترا مملكة الحرية والديمقراطية التي يديرها عباقرة العلم والتقنية بل سيطرة شاملة لاحدود لها للاحتكارات الرأسمالية الرهيبة وعبودية اقتصادية تامة للجماهير الكادحة .

تعب الدعاية البورجوازية ان تردد دوما نعمة المبادرات الفردية الحرة « البناء » التي يتيحها النظام الرأسمالي . وقد أشارت الواقعية الى الجانب التقدمي لهذا الامر ، لكنها أكدت على أن هذه المبادرات الحرة لا تبني حضارة انسانية ، كما فضحت الاوهام المرتكزة على « الطاقات الخلاقة » التي تطلقها الرأسمالية . أما الطابع الانساني والجشع الوحشي الذي تتميز به هذه المبادرات فممثل بشكل ساطع في « النقود » - زولا ، في روايات « نهاية بورجوازي » ليمونييه ، « مدينة افاتول » - كيلرمان ، « ثلاثية الرغبة » - درايزر . ولعبت دورا كبيرا في التطور الروحي لكثيرين من كتاب أوروبا أوهام وطوباويات اجتماعية أخلاقية أين منبعها القرية والميول الفلاحية - الديمقراطية ذات الطابع البطريكي . فمن جورج صاند في المرحلة الاخيرة الى الكتاب « الشعبين » الروس وحتى تولستوي العظيم توالى النداءات بالعودة الى رخاب الطبيعة ، الى عالم العلاقات الريفية البطريكية ورفض التقدم الصناعي الذي يحمل معه

انهيار القيم وفساد الاخلاق . وتغنى كثيرون بالحياة الفلاحية ، بحياة القرية كركيزة أساسية للصفاء الخلقي والانسانية الحققة ورفضوا المدينة « الفاسدة » . امتدحت جورج صاند في رواياتها الفلاحية الوسط الريفي وحملت باقامة مشاعة في مكان ما في حضن الطبيعة بعيدا عن المدينة الصناعية (طحان من أنجبو) . ورسم دوديه في أعماله عن القرية ، اويرباخ في (أقاصيص ريفية) ، وتوماس هاردي (تحت الشجرة الخضراء) ، ويلهيلم بوليتنص (رواية الفلاح) رايمونت (رواية « الرجال ») والكتاب الشعبيون الروس - رسموا جميعا بالوان فاقعة وبتفصيل كبير حياة القرية والطبيعة الريفية الهادئة العذراء ، قدموا نماذج خلاصة تكشف عن طيبة الانسان الريفي والسمات الخلقية الرفيعة للوسط الفلاحي الكادح .

في روسيا سخر ثورغنف منذ مطلع الستينات ، بعد الغاء نظام القناة مباشرة ، من ايمان هرزن الشعبي بالخصائص « الخلاقة » للمشاعة الفلاحية . أظهر فن الواقعية النقدية في الغرب (زولا وموباسان) وفي روسيا (تشيخوف وبونين) خيالية الآمال الرومانتيكية بخصوص البطيركية الفلاحية ، موضحا الانقسام الطبقي لجمهور الفلاحين ، وجود وتخلف الحياة الريفية وتفسخ القرية بفعل هجوم المدينة الرأسمالية عليها . واذا كانت فرائص ليمونه ترتعد من تزايد حدة التناقضات الاجتماعية وانحلال المجتمع البورجوازي ، انا يكبر في أعماله سكان الغابات والحقول الذين لم تدنسهم المدينة وينادي بالخروج من المدينة الى رحاب الطبيعة (رواية « ضميران » وغيرها) فان معاصره الكاتب البلجيكي الآخر - فرهارن - يوضح الدراما الاجتماعية للقرية الفلامندية

القديمة الحبيبة على قلبه التي تضمحل وتموت تدريجيا (« قرى في غيبوبة »)
(« قرى الأشباح ») ويخفيها الاخطبوط - المدينة الرأسمالية .

خراب الوسط الفلاحي الكادح وانهيار العلاقات البطورية هما موضوع
رواية « الارض التي تموت » للكاتب الفرنسي ر. بازين ورواية « العزبه
الملعونة » للكاتب الاسباني بلاسكوياينيس . وفي عصرنا يكتمل هذا الموضوع
بتصوير التراجيديا العنيفة للمزارعين الامريكيين في رواية الكاتب الامريكي
جون شتاينيك « عناقيد الغضب » .

لقد شكلت كل مرحلة جديدة في التطور التقدمي للمجتمع آمالا جديدة
بخصوص امكانية تحقيق المثل الانسانية في الواقع القائم . وأشار فريدريك
انجلس في معرض مقارنته بين عبودية القناة والعبودية الرأسمالية الى أن الاخيرة
قد جلبت معها على الاقل مبدأ الحرية وكونت في رؤوس الناس المقدمة الضرورية
لتجسيدها في الحياة . وبالتدريج تشكل المقدمات الاجتماعية والاقتصادية
الموضوعية لتحرير الانسانية . لكن مع ذلك ، مع كل خطوة للمدينة الى الامام
تخطو اللامساواة خطوة الى الامام أيضا ، وكل المؤسسات التي تقوم مع
تطور المدينة تتحول الى مؤسسات ذات طبيعة مناقضة لما انشئت من أجله .
مع كل مرحلة من مراحل تطور مجتمع الملكية الخاصة تتعمق وتتفاقم التناقضات
الاجتماعية وآلام ومآسي ملايين الكادحين والصراع المزمع بين « الكبار »
والصغار الامر الذي خلق الشك بشتى النظريات السوسيولوجية والمقولات
الاجتماعية ووجد تعبيرا له في أدب الواقعية .

وتخيب آمال معظم الكتاب الواقعيين بالديمقراطية البورجوازية • فابسن يقرر على لسان بطله شتوكمان انه قد تسمت « كل ينايعنا الروحية » وأن « كل حياتنا الاجتماعية تقوم على أساس من التزييف والدجل » ويقول غوركي ان افاتول فرانس « لم يترك جانباً من جوانب الاساس الفكري للدولة البورجوازية دون اظهار معناه المتناقض المناقض والانساني » • وبالنسبة لابسن وفرانس ، لتولستوي ودوستوفسكي فان شتى نظريات التقدم البورجوازية التي تكشف بوضوح عن علاقتها بالطبقات المسيطرة غير مقبولة • واذا كانت الليبرالية البورجوازية قد أخذت مكانها في سلسلة الاشكال الديمقراطية وخدعت الكثيرين في الغرب ، فان عجز الليبراليين وضحيهم الفارغ في روسيا في نهاية القرن التاسع عشر قد أثار أفاكارا سوداء حتى لدى بطل تورغنيف « بوستينوفيش » في أواخر حياته • وكشف تولستوي في « أنا كارنشا » ومن ثم في « البعث » الجوهر الحقيقي لليبرالية النبلاء – البورجوازين الروس • عرى الكاتب العظيم وانتقد بلا هوادة المقولات البورجوازية على صعيد المجتمع والسياسة وكذلك الفن اللاشعبي كما اعتبره – الذي نما على أرضية مجتمع الملكية •

غذت الاوهام زماً طويلاً مفكري أوروبا بخصوص ديمقراطية « العالم الجديد » الفتية • ونشر هذه الاوهام حتى كتاب أمريكا العظام أنفسهم • وكان مغنياها المبكر الشاعر وولت ويتمان من أوائل من خاب أملهم فيها • صور الكاتب فاينمر كوبر ومن بعده هاورد فاست أيضاً المصير التراجيدي لسكان أمريكا الشمالية • كما هزت العالم « كوخ العم توم » ليتشر ستو •

في المرحلة الاولى من حياته الابداعية كان مارك توين مقتنعا ان الديمقراطية الامريكية ، بمساواتها الجميع أمام القانون ، بحرية الكلمة في ظلها ، بانتخاباتها العامة ، تعتبر وطن الاوضاع والاقلمة « السليمة » ومؤهلة لتحقيق آمال وطموحات الانسانية . لكنه ، مع تعمقه في ادراك الجوهر الاستغلالي للديمقراطية البورجوازية الامريكية ، يتجاوز تدريجيا الوهام ويصبح هجاء غنيفا للطبيعة القذرة المميزة للرأسمالية الامريكية ، خصوصا في طور انتقالها الى مرحلة الامبريالية . ويتوصل الكاتب الامريكي الكبير الى خلاصة مؤداها انه في أمريكا الامبريالية ، « كما في كل مكان » « الاموات وحدهم يملكون حرية الكلمة » وان حياة « العالم الجديد » قاسية جدا . وترن السخرية المرة من الديمقراطية الامريكية وعبادتها للدولار في قصة مارك توين « الرجل الذي أغوى هيدلبرغ » - ١٨٩٩ . وحتى نهاية حياته بقي الكاتب يعاني القلق والهم والتشاؤم دون أن يجد مخرجاً لذلك فيعرب عن أسفه لأن « هذا العالم غير مملوء بالكتب التي تسخر من الحياة البائسة ، من هذا العالم الذي لا معنى له ومن الجنس البشري الوضع » .

السمة العامة لمضمون الواقعية الكلاسيكية الفكرية اذن هو التناقض بين المثل الاعلى الانساني للكاتب والصعوبة الفعلية في ايجاد تجسيد له في الحياة في ظروف مجتمع الاستغلال . كتب دوستوفسكي الى س . ايوانوفا عام ١٨٦٧ عندما كان منكباً على كتابة روايته « الابله » مايلي : « الفكرة الرئيسية للرواية هي التصوير الايجابي للبطل المثالي . وليس ثمة ماهو أصعب من ذلك في هذا العالم وخصوصا الآن . فجميع الكتاب الذين تنطحوا لهذا

الموضوع من روس وأوربيين جادلوا ثم استسلموا في النهاية لأن المهمة عسيرة للغاية . فالبطل المثالي لم يخلق بعد لاعندا ولا في أوروبا المتمدنة » .

تسم أعمال الكتاب الفرنسيين والانكليز التقدميين في القرن الثامن عشر المرتبطين فكريا بالطبقة الثالثة بالنقد الصادق المصيب للنظام القديم ولأخلاق الطبقة الارستقراطية - النبيلة - هذا النقد الذي أمد واقعتهم بالقوة والعافية . وعندما كان الكتاب يتطرقون الى واقع الوسط البورجوازي القريب والمحجب الى قلوبهم كانت تتخلل تصويروهم في غالب الاحيان فتحات التمجيد والتعاطف التي تضعف قوة الفن الواقعي وموضوعيته . برزت هذه الظاهرة في الادب الروسي في القرن التاسع عشر في يوثويا غوغول الرجعية في القسم الثاني من « الارواح الميتة » وفي الانبعاث الاخلاقي لبطل تولستوي نيكلودوف في رواية « البعث » على سبيل المثال . فقد استبدل التصوير الموضوعي للواقع الى هذا الحد أو ذاك بتجسيد المثل الاعلى الذاتي للكتاب ، لم يعد الواقع مصدر التصوير ، بل رؤية الكاتب لما يجب أن يكون عليه هذا الواقع . بهذا الشكل تصبح واقعية القرن الثامن عشر قريبة من الكلاسيكية ، أما واقعية القرن التاسع عشر فتقترب من الرومانتيكية . من أجل تجاوز مثل هذه الحالة لجأ ليرمنتوف الى الشكل الرومانتيكي عندما كان يريد تقديم نموذج البطل المحب للحرية وكان في ذلك كاتباً واقعياً عظيماً . لم ير الكاتب في الحياة الروسية في الثلاثينات أشكالاً تاريخية حقيقية في الواقع تجسد مثال المحب للحرية كذلك التي أتاحها الحياة في العشرينات الى حد ما من خلال حركة الديسمبريين والتي مكنت غرييادوف من تقديم نموذج رائع في شكل واقعي (بطل « مصيبة من العقل ») .

حمل الكتاب في أوساط المثقفين الديمقراطيين أوهاما يخصوص حل التناقضات الاجتماعية وتسوية الصراعات الطبقة سلمياً وبشكل تدريجي وتوحيد الناس بالفن على أرضية المثل العليا « القومية » و « الانسانية العامة » . لكن مع ازدياد حدة التناقضات الاجتماعية للرأسمالية ، تطور وتعمق الطابع النقدي للفن الواقعي ، وبرز واتضح افلاس أفكار التقدم السلمي ، الاصلاحات « من فوق » والقضاء التدريجي على التناحر الطبقي والتناقضات بين « الاعلى » و « الأدنى » في المجتمع . قال ابسن عام ١٨٧٠ حول مصير مبادئ ثورة ١٧٨٩ مايلي : « مازلنا في الحقيقة تتغذى حتى الآن من فئات مائدة ثورة القرن الماضي وهذا الطعام قد مضغته الانسان بنا فيه الكفاية ، أصبحت المفاهيم بحاجة الى مضمون جديد وفهم جديد أيضا ، فالحرية والمساواة والاخوة لم تعد هي هي كما كانت عليه في السابق » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويمكن القول ان التطور الفكري لواقعية القرن التاسع عشر يمثل عملية تعاقب متواصل للامال والرجاءات من جهة و « للاوهام » المتبخرة من جهة ثانية . برزت هذه النقطة لدى بوشكين وليرمنتوف ، نيكرا سوف وشيدرين ، ديكنز وهاردي ، ابسن ومارك توين . لكن كثيرا ما تنسب نظرية الادب عندنا ، دونما أساس كاف ، الى جميع كتاب الماضي تقريبا التفاؤل المستقيم معتبرة ذلك مقياس تقدميتهم . من الضروري ، برأينا ، بحث هذه الحالة في كل مرة بشكل تاريخي - ملموس .

الروح الانسانية كانت ، كما أشرنا ، سمة لازمت أدب الواقعية النقدية

خلال تطوره . لكن صارت تبرز مع الزمن وبالتدرج طوباوية وعدم جدوى هذا النزوع الانساني ، وقد أشار الى ذلك الكاتب العظيم دوستوفسكي . يتكشف وبوضوح أكثر تدريجيا الصراع المتأزم الذي لا يجد حلا بين المثل الأعلى الانساني للحرية والتطور الشامل للشخصية الانسانية وبين الطبيعة الاجتماعية للمجتمع البورجوازي - الرأسمالي . وكثيرا ماغدا مفهوم الانسانية بالذات يستخدم لتغطية أفكار السلام الطبقي ، للتبشير بالخير البورجوازي ولتبرير الجبن الليبرالي .

في ظروف الصراع الطبقي المتفاقم بين المضطهدين والمضطهدين انقلبت الدعوة الى « الانسانية العامة » والتفكير « بالفرد الانساني بشكل عام » الى دفاع بورجوازي - ليبرالي عن مصالح الطبقات المسيطرة ، وقد فضح مثل هذه الانسانية المزيفة في الأدب في نهاية القرن التاسع عشر كل من شيدرين ، أفاتول فرانس ، برناردشو .

لم يكن هناك أي شيء مشترك طبعا بين كتاب مرحلة ما قبل الثورة الانسانيين العظام - العجوزين فيكتور هوغو وليف تولستوي والشابين - رومان رولان ورايندراغات طاغور وبين الانسانية المزيفة للطبقات المسيطرة . لكن المثل الأعلى الانساني تجسد في مؤلفاتهم بقوة وإخلاص كبيرين وأثاروا بذلك أصداء التأيد والاعجاب في كل العالم . عمل رومان رولان كأستاذة تولستوي بشكل حثيث لا يقاط مشاعر الحب والاخوة الكامنة في نفوس الناس ودعا البشرية الى الاتحاد . لكن انكشفت طوباوية انسانيته في المصير

التراجيدي لآمالهم ، ووجهت ثورة ١٩٠٥ صفة قوية الى التولستوية .

قبرت الحرب العالمية الاولى ، التي حركت العقول في أوساط المثقفين الديمقراطيين الانسانية البورجوازية - الديمقراطية الخيالية ويشدد تأثير شتى التيارات المشككة بقوى العقل الانساني . وتخيم النزعات التشاؤمية بشكل قوى على افاتول فرانس ، فبعد روايته « جزيرة البطريق » يكتب « ثورة الملائكة » - ١٩١٤ المجسدة لفكرة الحركة الدائرية اللامجدية للتاريخ . أما أوهام رومان رولان الانسانية المعروفة في سنوات الحرب فقد قادت الى دراما روحية عميقة . واعترف الكاتب الانساني العظيم الذي حاول الارتفاع فوق مستوى « الاحداث الجارية » **بعد ذلك ان هذه الاوهام** « خداع للذات وللآخرين » .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بحث توماس مان ، الذي اعتبر نفسه تلميذ الانسانية الاوروبية ، في المجتمع المعاصر له عن القوى القادرة على تجسيد المثل الاعلى للانسانية الكلاسيكية . لكن بحثه الدقيق والدؤوب لم يخرج ايضاً عن اطار البورجوازية الديمقراطية . وبددت الحرب أوهام توماس مان كما بددت من قبل أوهام رومان رولان . فقد صرح مباشرة بعد الحرب بما يلي : « انتهكت أفضل أفكار ذلك الزمن » القرن التاسع عشر « الانسانية ميتة . والخلاصة : من الضروري تأسيس انسانية جديدة » . كان هؤلاء الكتاب الواقعيون مثلي أمم متحاربة في ذلك الحين ، لكن مصير انسانيتهم كان واحداً . انهيار كل شيء في أوروبا العالية على قلوبهم . ولم ينقذ شرف قواها الطليعية في ذلك الزمن

سوى عدد غير كبير من رجال الفكر والفن المرتبطين بحركة البروليتاريا الاشتراكية .

وهكذا وجدت تعبيراً فنياً لها في النتاج الفني لأدب القرن التاسع عشر الواقعي أفكار اقطاعية - ارسقراطية ، بورجوازية - ليبرالية ، بورجوازية ديمقراطية - تنويرية ، راديكالية بورجوازية صغيرة وأفكار بطريركية دينية فلاحية .. وغيرها . لكن لم تحمل هذه النظريات والأفكار التي لم تخرج عن إطار الحركة البورجوازية - الديمقراطية ، حتى في أكثر أشكالها ثورية ، معها حلاً فعلياً لتناقضات العمل ورأس المال ، الغنى والفقر - تلك التي أقلقّت ملايين الناس .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

الظواهر المسرحية عند العرب

علي عقلّة عرسان

دراسة

أزهار الكرز أشعار يابانية

• ترجمة: عدنان بغجاتي

– ملاحظات حول شعر الهايكو الياباني –

الهايكو ضرب من الشعر المقتضب الرقيق ينظمه الشعراء اليابانيون منذ مئات السنين وهو قصيدة تتألف من سبعة عشر مقطعا في ثلاثة أبيات (خمس مقاطع – سبعة – فحصة) وتتضمن قصيدة الهايكو غالبا اسم فصل من فصول السنة أو قرية تدل على هذا الفصل (ففي مقطع أو مقطعين يجعل الشاعر قارئه يستحضر الطقس ، وأوراق النبات أو أزهاره ، والطيور والحشرات ويوقظ فيه الشاعر التقليدية تجاه الفصول) .

من أبرز شعراء الهايكو وعلى يده تم تبلور هذا الضرب من الشعر باشو (١٦٤٤ – ١٦٩٤) وقد كان في أواخر أيامه من أتباع مذهب زن البوذي الذي يؤمن بالهوية المشتركة لمجمل أشكال الحياة وقد عبر باشو في شعره عن ادراكه الجذلي لهذه الهوية المشتركة في تلك الفلسفة الصوفية فغمر نفسه بأدق الأشياء وحولها بحماسة الدينية الى شعر وقد أحبه تابعوه ومن خلفه من الشعراء

فخلدت بذلك فلسفة زن التي ظل أثرها واضحاً حتى في أشعار الهايكو المتأخرة .

يلي باشو بوسون (١٧١٥ - ١٧٨٣) الذي كان أكثر ثقافة وتحسراً من سلفه الا انه بمستواه في الصنعة والحدق . ويأتي ثالثاً أيسا الحزين (١٧٦٣ - ١٨٢٧) الذي - استهدفه القدر فاصابه بابنائه . وقد يكون أيسا أقل شاعرية من سابقيه الا انه أكثر قرباً الى القلب منهما . وشعره الرقيق الدامع حول ابنائه الموتى ، وأصدقائه الصغار من الحشرات يوصله الى أي قارىء .

بدهي أنه من المستحيل ترجمة الهايكو ترجمة دقيقة ومحكمة ذلك ان الهايكو زاخر بالاقتراسات والتلميحات التي يشكل كثيرها علينا وان كانت لاتخفى على المتأدب الياباني ، كما انه مفعم بالتوريات والمعاني المزدوجه . اضافة الى ان لغة الهايكو ، كما يحدث بذلك من يعرف اليابانية لاتستخدم ادوات الربط ولا تبين زمن الفعل ولا توضح الضائير أو دلالات المفرد والجمع - فهي صيغة برقية (تلهرافية) الى حد ما .

ترجمت اشعار الهايكو هذه عن الانكليزية عن المجموعة التي نشرتها مطبعة بيتربورج في نيويورك .

اخيراً لايتوقع من الهايكو ان يكون واضحاً وضوحاً كاملاً ولذلك يفترض بالقارىء أن يضيف الى الكلمات بعضاً من تصوراته وتداعياته الخاصة التي تمكنه من ان يصبح ظير الشاعر في خلق متعته الخاصة ويساعد على وصول أفضل للتجربة الشعرية . وهذا ما يأمله المترجم .

الربيع

تؤوب الطيور السوداء المهاجرة
□ شيكي

لحظة قدوم الربيع
تؤوب

أسرار السنونو
لتروح وتجي

□ تايجي

في ليلة رأس السنة -
أقدر أن أقام بعمق ...

فلن أواجه

السنة الجديدة

قبل ظهيرة الغد

□ بوسون

في فجر السنة الجديدة
تتشى الكراكي المشوقه

بمهابة

ووقار

□ كيكاكو

أمام قبر باشو العزيز
نقف

عابري سبيل هزيلين شاحبين
ضباب الربيع - والتلميذ الحزين
□ جوسو

هامي ذي الفئران الوليدة
تتراكض في جحورها
بحشا

عن مخلفات العصافير

□ ياشو

فوق القرية

المحاطة بخضرة

ادغال الخيزران الساكنة

يتباطأ الثلج الأبيض

□ تايجي

فوق بحر الربيع المشع

عبر الجبال

الملفعة بالثلج

الريـح في باكورة الفجر ...
على اطراف اوراق الشعير
تتألق
او اخر ذرات الجليد الشاحبة
□ اونيتسورا

في الاعالي من ثلوج نيسان
تفتح البراعم ...
غضة
ريانة حمراء

□ ساشو

اظفر نور شمعدانا
يضئ
ذهب الاشجار
المكتون

□ بوسون

افواج السياح
يأتون في نيسان
يتأملون الزهر ...
يا لهم من عصافير بشرية

□ باشو

على طريق الجبل
ارى مدينة القصر
المضائة ...

حدهات السنة الجديدة
□ تايجي

في عيد رأس السنة
حين رأيت شهادة ميلادي المحفوظة
في بيتنا العتيق
بكيت

□ باشو

لا أهلا بك : اخرج ...
بهذه الخفاوه الحاره
استقبلوني
في احتفالهم برأس السنة

□ روتسو

الثلج يذوب ...
بعيداً على الجبال
الضبابية
غراب ينعب ، ينعب

□ جيواى

□ ازهار الكرز □

ريح ربيعية عاصفة ...
غير ان البراعم العنيدة
لا تنزال
متشبته بأغصانها الهزيلة

□ اونيسورا □

الريبع ينتشر من جديد ...
الآن وانا في طقولي الثانية
لا أزال
طائشا أحق .

في امسية ربيعية على الشاطئ
اساعد الصيادين
في افراغ
كنز البحر الحي

□ رانكو □

قوى قاهره ...
احجار السياج المنضدة
سقطت جميعها
بفضل هرة وهر عاشقين

□ شيكي □

بعد حيام المطر
تقف العصافير
المسحورة بالريبع
تلغو فوق الافاريز

□ اوكو □

بعد ان طهرت جسدي
وحنيت رأسي
لبوذا ...
الآن أنحني لازهار الكرز

□ ايسا □

□ ايسا □

اغصان الدغل الجافة
تقطع وتكوم
اكواما ...
ومن ثم تبرعم بشجاعة

□ بونشو □

اضع الهره
لازنها في الميزان ...
ومتضي هي في لهوها

□ ايسا □

الناعورة الجدلى
تصب في الوادي
أوراق أزهار
كرزات الجبل

□ شوغيتسو

راقصا : يعدو الثعلب
فوق أزهار النرجس
الشاحبة
في حديقة ضوء القمر

□ بوسون

في نهار ممطر كئيب ...
تمر أمام بابي
صبية مبلة
تحمل أقواس قزح

□ شينيتوكو

تابع السير على الضفة ...
لامبال كثيرة لن تجد
قنطرة للعبور
في هذا اليوم الربيعي الطويل

□ شيكي

هذا الطفل ... حتى
حين نريه
براعم الكرز
يفتح فاه الشره

□ ساي نوجو

جبل من السحب
ينهض خلف
السور
أم خوخة مزهرة !

□ شيرو

حقول الرز يغمرها الطوفان ...
جاءت البحيرة
الى المدينة
محملة بخضرة أغصان الرز

□ باكوسوي

أزهار الكرز المتطايرة
تسقط وتطفو
فوق مياه حقول الرز
الباردة

□ كيوروكو

الصيف

آه أيتها الفزاعة المطلة على الدرب
ماكدا تتخاطب
حتى آن الرحيل

□ ابنزين

لعل أحلام الزهور
الهائمة الصامتة
فراشة ناعسة

□ رايبكان

أحيانا يهب الفلاح خارجا
ليطمئن
على فزاعته ..
لكنه يعود أدراجه ببطء

□ بوسون

أترى طيور الماء السوداء تلك ؟
رغم انها تبدو
ثقيلة ...
فانها تطفو

□ اونيتسورا

أيها الشفق الربيعي ...
أيتها اللحظة الثمينة
التي تساوي عندي
ألف دينار

□ سوتويا

جواب :
ياشفق الصيف
الاسعار تدنت
الى
خمس مئة فقط

□ ميكافو

فوق الارجوحة الالهية ...
طفلة نحيفة
تشد الى صدرها
باقة زهورها

□ ايسا

عند المزار العتيق
الذي بهتت نقوشه الذهبية
تعلن الاوراق الخضراء
وقت اليقظة

□ شورا

صفوف منتظمة من الفاصولياء
ومجموعات متناثرة
من الزنابق
ذلك هو الخصب بعينه

□ شيكي

تحت ضوء قمر الصيف
الجدول اللالاء
يتراكمض
هابطاً درب قريتنا

□ شيراو

قمتا تلتين من حجر اليشب الاخضر
تنصبان
في موسم ايراقهما ...
صورتان متقابلتان في مرآة

□ كيواردي

ذلك الضفدع الضخم الهرم
جاثم هناك
يحدث في
بوجه جهم

□ ايسا

على ضوء الغروب الخافت
فراشة
تطوف
في شوارع المدينة العتيقة

□ كيكاكو

في ضوء الشمس الغاربة
المبهره
تحدث الفزاعة ...
بلا مبالاة

□ شيراو

جالس جلسة بوذا
غير ان البعوض
يلسعني
وأنا في أقصى نشوتي (النيرفانا)

□ اومارو

□ ازهار الكرز □

البراعة الصفراء...
كانها شعلة مصباح صغيرة
لكن حين يلمسها انسان
يحبس انها باردة

□ شيكي □

الحقول مشمسة ودافئة...
أترى الى الراهب
يمد رأسه
خارج سور المعبد

□ ايسا □

سرطان صغير
يزحف فوق كاحلي
آه أيها الجدول
البارد المنساب

□ باشو □

ماأتمسها تلك الطفلة العمياء
بأناقة وبهاء
تزین أزهار الشارون
رواقها

□ شيراو □

ضوء النهار في غرفة الفندق
يتسلل من خلال
الناموسية المسدلة...
مجد صباح

□ شيرو □

أمطار الشفق...
امنحي
رذاذك المنعش
للطيور والجنادب

□ كيماكو □

تعثرت البراعة
من فوق حد العتبة
ومن ثم عاودت الازيز
من جديد

□ باشو □

حين يلتسع البرق
تردد أصداء صوت
مالك الحزين الطائر في العتمة

□ ياشو □

فراشة صفراء
تحوم ، تحوم
فوق المحيط

□ شيكي

ما أرطب هذه النسمة
الآن كل الجناب
المكتومة الأتقاس
تعود للغناء فرحة

□ ايسا

لن أنسى ما حيت
ذلك المغزى الفريد
لقطرة الندى

□ باشو

في الحوض الذي خلفته الامطار
لا تزال البطات
التي لما تذبح
توقوق فرحة

□ ايسا

أسمع الطنين
وقت سقوط
أوراق الازهار ..
البعوض منزعج

□ بوسون

الاوركيدة المريضة
التي أحسنت رعايتها ...
أخيرا
تشكرني ببرعم

□ تايجي

علق في سلة الصياد الآن ..
الاخطبوط
الشاحب الحالم
تحت ضوء قمر الصيف

□ باشو

لكن أظفر الى الجبل ..
لا يزال يلهث
بموجات الحر
وقد رحل النهار

□ اونيتسورا

أسرة الدوري
تلب متخفية
وتنقب
بين شجيرات الشاي

□ ايسا

الحقل المزهـر عند الشفق ..
القمر يهل
في شرقي السماء
والشمس تأفل في غربها

□ بوسون

الليل يحل ...
صامته
في مياه حقل الارز
تضيء المجرة

□ ايزن

فوق تلك الرقعة الصغيرة
تعرش الفاصولياء
وتمتد حتى تبلغ بابنا ..
ما أبهاها في ضوء القمر

□ ايسا

المحزن في الامر ...
انه تحت خوذة البطل
الصدئة الآن
يجثم جنـدب

□ باشو

زنبقتان على سطح الماء
تشمعان بصفاء
ذهبتين
في البركة المطرزة بالمطر

□ بوسون

الطائر الشرثار
وهو يعني بفرح
يرمق كوخـي
بعين ناقد باردة

□ ايسا

أيتها النسمة
البلية الرائعة ...
هكذا جنة بوذا
لا ريب

□ ايسا

أنا أطوي خيمتي
أيتها القراثة
المتأية دائما
الا تستعجلين؟؟

□ غاراكوا

آه ... مجد الصباح
يأتلق
مع نبته النيلة
فوق جبل ما

□ بوسون

الحديقة صامتة
حيث شجرة الكاميليا
تفتح ياضها

□ اونيتسورا

منذ يوم خلقت
من العصي
والخرق المهملة ..
لا تزال الفرقة المعجوز

□ نيوفو

نحن نصفي
الى أزيز الجنادب
والى ثرثرة البشر
بآذان شديدة الاختلاف

□ وانو

الهجرة ساكنة متناقلة ...
بعد الظهر
يحط طائر الدراج
فوق الجسر

□ بوسون

تحت غلالة قمر الصيف ...
منذا الذي يخال
هناك بالايض
على الضفة الاخرى ؟

□ شورا

في كوشي أخشى
كل ما يمكن
ان أغريك به
أيتها البعوضات الصغيرة

□ باشو

الآن يطل حلزون البحر الطيِّب
برأسين
وذيلين .. لكن الله وحده
يعلم أيُّ لايٍ ؟

□ كيواري

الليلة التي بعث فيها
بستاني الواطيء
بت أرقا
من صيحات الضفادع

□ هو كوشي

هيه : لماذا لا تمديد العون
لذبابة الفرس
الطنانة
لفتح مزلاج ضوء السماء

□ ايسا

يا عصفير الفجر الثرارة ...
ضيف مدينتنا الكبيرة
أمضي ليلته
وحيدا يرتعش

□ شوها

تحت زخات مطر الصيف
المفاجئة ...
الطيور التي تتقاذفها الريح
تتشبث بالعشب

□ بوسون

الراهب يعرض صورة بوذا ..
وعصافير الدوري أيضا
تأمل ضوء الفجر

□ ايسا

الخريف

على الشاطئ بعد الجزر
السرطان المسرع
يتمهل قليلا ...
هناك أثر قدم

□ روفو

محاطة بالماء ...
الفزاعة في الحقل
المغمور
تقف بامتعاض

□ شيكي

أغبي أغبياء
جميع المخلوقات الحية
فزاعة عجوز
عجفاء

ليالي الخريف باردة
الرضيع المهزول
يحشر نفسه في ..

ما أحبه من وليد دافيء

□ شيكي

خلف الاغصان المتشابكة
حيث يعشعش النسر ..
كرة الشمس الحمراء
تغيب

□ بوتشو

حينما أشعل المصباح
أري .. لكل
دمية

□ شيكي

ظلها الخاص بها

□ باشو

في المياه الساكنة
يرى طائر الماء
صورته معكوسة

□ ماهارا

أيتها الام الراحلة من زمان
في البحر الداكن العميق
أحذق
في البحر الداكن العميق

□ ايسا

أيها السنونو المقدس
تسقى خارجا
من أنف بوذا العظيم
حيث بنيت عشك

□ ايسا

سأقطع من خيزرانة
ذلك العصفور الثرثار
مقبضا
لغلاية الشاي

□ كيكايو

بكاء ... وأشجار الصنفاص
راكمة هنا
على الضفة
تسبل شعرا طويلا أخضر

□ كيوراي

الزراير المتجمعة
تصبح
وهي تنثر حبات التوت
من شجرة الخريف

□ شيكي

أسماك فضية
تصب ٩٠٠
انه شلال حي
يتدفق من الشبكة الى السلة

□ كيكايو

آه ... أيتها الصنفاصة الجرداء
المنحنية فوق الحوض الجاف
المحوط
بجلاميد الشاطيء

□ بوسون

أيتها الدمية الفطساء
لعل أمك
لم تقم بما يجب
من شد وقرص

□ بوسون

في حقل الضباب
لا شيء سوى
لا نهاية منبسطة
وشمس حمراء تشرق

□ شيرو

لأن كوخني
غير مسور ..
سأرى قبر الحصاد الطالع
أفضل

□ شيراد

يا شمس أيلول
الحارة النافذة ..
فوق جلدي أحس
بالنسيمة الباردة

□ باشو

اني أهرم ...
طائر جميل
يختفي
في عتمة الخريف

□ باشو

جائئة على الخيزرانة
المغروسة
عند القبر المحفور حديثاً
ذباب الفرس تنتظر

□ كيتو

على طول الشاطئ ..
طيور الزقزاق
تلهو بلعبة ما
يتبال أقدامها

□ بوسون

متفلسفاً
يتأمل
الجبل ...
ذلك الاستاذ الشيخ الضفدع

□ ايسا

سد غروب الشمس ...
يفعل الفارس
جواده التعب
في بحر الخريف

□ شيكي

من هذا الواقع
بمعطف من قش ..
يحملق
في نزهتنا الخلوية ؟

□ باشو

أقتر الى ذبابة القرس
وجهها في الواقع
ليس سوى عينين

□ شيسوكو

يارفيقي الوقواق
خل عينك يقطبتين
على كوخى
ريشما أعود

□ ايسا

سماء الصباح حمراء ..
من أجلك ستمطر اليوم
أيتها الحلزونة المحظوظة
كما أظن

□ ايسا

من خلال السكون الشاحب
المنسكب
من ضوء القمر في المساء ..
تنبعث أصوات زير مفاجئة

□ هاجين

الحديقة بليلة في الصباح ...
وزهراتي شقائق النعمان
البارزة للشمس
يحوطها ضباب البحر

□ سامبو

مع سطوع القمر ...
ورقة أثر ورقة
أثر ورقة
يدب الخريف

□ شيكي

أنا لم أدخل ..
غير اني وقتت
بإجلال ...
على باب معبد أوراق الخريف

□ بوسون

هذا هو مكاني
كوخ من طين
وشجرة مصاحبة
تنثر أوراق الخريف

□ شورا

من ذاك الكوخ المسكون بالارواح
ينسل الدخان
تحت المطر ...
في داخله شخص ما

□ بوسون

برق أيلول يلتسع
وسطح أبيض في الافق
يرتسم عليه ظل التل

□ جوسو

أظفر .. ستة مذاقير فاعرة
تنتظر
أمها
تحت مطر الخريف البارد

□ ايسا

توهج مفاجيء ...
بعد تشرين أول
عاد المطر العاصف
ليحمر القفل

□ بوسون

البشر نعرفهم ...
لكن في هذه الايام
حتى الفزاعات
لا تقف مستوية

□ ايسا

ليس سوى أعشاب ذابلة
في قصصك ؟
أيها الجندب الاسير
اليك اعتذاري

□ شوها

من مشاعل مراكب الصيد
تساقط شرارات ..
مسكينة أنت
ياطيور الغاق المتجهمة الاسيرة

□ كاكاي

□ ازهار الكرز □

جو خريفي ساكن ...
هنا وهناك
بين التلال
تنبعث خيوط دخان زرقاء

□ جيوداي □

في كوخ الصياد ...
حيث تختلط الآن
الجنادب النشطة
مع القريدهس المجفف

□ باشو □

— في ذكرى الموت —
يا قمر الخريف الصاعد ...
لن تلقي نورك هذا العام
على طفل شاحب مريض
في حضني

□ اونيتسورا □

من أجل احتفالات الخريف
ذبابات الفرس
التقية
ترتدي أيضا ثيابا حمراء

□ ايسا □

أيتها البطات البريات !
أيتها البطات البريات ! أكتن
أيضا صغيرات
حين غادرتن الوطن ؟

□ ايسا □

في طرق مهجورة
يمشي
هذا الشاعر الوحيد
عابرا عتمة الخريف

□ باشو □

□ □ □

الشتاء

أيها الحطاب في الشتاء
حين يفلح فأسك
أشم رائحة ربيع مفاجيء
في داري

□ بوسون

كذلك أبي
تطلع كثيرا الى
هذه الجبال البيضاء
في الأثناء الموحشة

□ ايسا

ضعيفة ضعيفة هذه الشمس ..
لاتكاد تستطيع
تغطية
الحقول الشتوية المقفرة

□ باكوسوكو

في وحشة الشتاء
وجدت العزاء
بهذه الصورة الصينية العتيقة
لاشجار الصنوبر

□ باشو

خبرني : من أين تأتي
لسعة البرد
المفاجئة ...

أيتها الفزاعة العليسة باحوال الطقس؟

□ ايسا

وحيدا ، ساهرا
قضيت تلك اللية المريرة
أشرب الخمر
منذ هطول الثلج

□ باشو

عزلي الثلج ...
ومرة أخرى أسند ظهري
على جدار
محطة متخيلة تضج بالناس

□ باشو

عائد الى مسقط رأسي
ومقرّ قبري
في كوخى ترتفع الثلج
خسة أقدام باردة

□ ايسا

— الاب المنجوع —

عميقا تحت الرماد ...

مشعل الفحم

تحل به القشعريرة

من غصص الدمع

□ باشو

في الفجر المطر

ترى أين زحفت

خارج سريري ؟...

ثوب نومي منزق

في القرية الجبلية ...

تحت هذا الثلج

المهيب الابيض المتساقط

يتراكض جدول

□ شيكي

في قلب الليل المتجمد

أسمع ذاك الفأر

ينقب بهمة

في صحن المطبخ القذرة

□ بوسون

حتى ضوء مصباحي

يصاب بالسبات

أمام هالة الشتاء

البيضاء المتجمدة

□ ياهيا

ليلة البارحة هطل الثلج ..

واليوم أصبحت السماء

والصنوبر المدثر بالابيض

كوبالت صافيا

□ دوكا

ليلة مريرة .. لكن

الممارسة الطويلة

للجوع القارس

سمحت لي بالنوم

□ ايزن

غلات ناعمة من قطع الثلج

تحط فوق هذه

البطات غير الآبهات ...

عالم من الصمت

□ شيكي

الثلج الذائب يتساقط
من على التوتة
الحمراء
ودوريان يمرحان

□ شيكي

مرة تلو مرة
وأنا في فراشي
أسائل مرضتي
الآن ، ما سماكة الثلج ؟

□ شيكي

عند ذلك النزل الكثيب
يظل كلب يعوي .. أترأه
مثلي وحيدا
في المطر ؟

□ باشو

النجمات جميعها
ترتفع الآن
بالضوء ...
ياله من برد لاذع

□ تايجي

النجوم الكثيرة
تأتلق من خلال
الظل المرتسم على السماء
لشجرة الصفصاف المتجمدة

□ تشورا

روح الشتاء الوضاء ...
ضوء القمر
يرقصه
وقع حبات البرد

□ حيوداي

هزم الريح الشتائية اللاسعة
ألن تكف عن الهبوب
في السماء
في أواخر ليالي الهلال ؟

□ كاكاي

الآن عند الفجر
يفغر المد
بالطحالب
غور ليلنا المتجمد

□ شيكي

يَلْمَع تَمثال بوذا ...
ولم لا
وكذلك ألمع غليونني
من أجل العطلة ؟

□ ايسا

في اليوم الماطر
الفزاعات المتقاطر منها الماء
تبدو
كاناس عاديين

□ سايبى

حين تذكرت
وجوهن المطلية ...
فضت اللفافات
عن دميتهما القديستين

□ بوسون

الطقس دافئ اليوم ...
لكنني أظن
اني أشعر بقشعريرة
شمس هذا الشتاء

□ اونيتسورا

أيها الاطفال ، هيا أخرجوا
قعقة على طول الدرب
أترون ؟
آه وابل من اللالىء

□ باشو

ليلة شتاء جليدية ...
اني أذهب الصقيع
عن ريشة الكتابة
بسني المتبقين

□ بوسون

على سطح البحيرة
فراغ خاو
طويل بارد ...
وغراب متوحد

□ شيكي

هاتان الدميّتان المتعبتان
في الزاوية
هناك .. آه نعم
انهما زوج وزوجة

□ ايسا

في ليل الشتاء الجليدي ...
لعل طيور الماء
مثلي
ترود شاطئ البحيرة

□ روتسو

سحب ثلجية قائمة ...
وفوق البحيرة
والارض المنتظرتين
طيور سوداء تتحب

□ اوتوكوني

ظل أزرق أرتج
بوابة قلعة إيدو
تحت ضوء القمر المتجمد

□ كيكافو

جيراني يكرهونني ..
أسمعهم يخطون
ويقرعون بأوانهم
في ليل الصقيع

□ بوسون

ما أغباها من حبات برد ...
تطير
الى مدفتي
باسرع ما تستطيع

□ ايسا

في ضوء القمر الجليدي
كل الصقيع
الابرية الاطراف
تسحق تحت الاقدام

□ بوسون

خطوط أمطار الشتاء الباردة
أصبحت أفقية
بفضل
العاصفة المعولة

□ كيوراي

بعد أن طارت قبعتها
تقف الفزاعة
ذات العنق المتصلب
مهزومة شر هزيمة

□ بوسون

أمام بوذا
حتى العصافير الطيبة
تحني رؤوسها
آباء وأمهات وأطفالا

□ ايسا □

صوت المنشار الاجش ...
موسيقى
الفاقة الباردة
في منتصف ليل الشتاء

□ بوسون □

احتفالات نهاية العام ...
وأنا لا أزال في ثياب الحجاج
هل علي أن أتابع السير
في طريقي اللانهائي ؟

□ باشو □

بعد أن مات باشو العزيز
أي صانع شعر
يجرؤ أن يكتب :
« احتفالات نهاية العام » ؟

□ بوسون □

— أغنية للموت —
لقد منحت
خريفين زيادة
عما يعيش الانسان المتوسط
يا قمر الحصاد

□ سايكاكو □

— أغنية للموت —
في آخر الدرب الطويل
حين أسقط
وأعجز عن النهوض ...
ساغرس في مسكة الزهور

□ شورا □

* انجزت ترجمة هذه المجموعة في حزيران ١٩٧٩

من الأدب الشركسي المعاصر

• ترجمة : د. عادل عبدالسلام

الشاعر علي شوجن تسوكو

من رواد الأدب الشركسي المعاصر الاوائل ، ولد سنة ١٩٠٠ في أسرة فقيرة ، تعيش في قرية (كوش مزقواي) في القفقاس الاوسط . ولقد دفعت علائم الذكاء والنبوغ المبكرين لديه عيون جده وعمه عليه ، فلقنه الاول المرويات والاخبار القديمة والعادات والتقاليد ، وعمل عمه على دفعه للدراسة في مدرسة القرية ومن ثم في المدرسة الدينية في مدينة (باخسان) حيث درس العلوم الاسلامية واللغة العربية التي جانب الشركسية والروسية وبعض العلوم المصرية .

تابع علي شوجن تسوكو دراسته في مدرسة المعلمين وأتقن اللغتين التركية والفرنسية .

ولقد عانى الشاعر علي شوجن تسوكو من الفقر والحرمان أثناء دراسته في استمبول ، ولقد كانت معاناته هذه المحرك الأول لبداية قوله الشعر فكانت قصيدته الرائعة (أماه) ، التي نظمها في تركيا بين سنتي ١٩١٧ و ١٩١٩ عندما عاد الى موطنه في بلاد الشركس . نشرت أعماله الادبية في دواوين ومجموعات شعرية عدة مرات باللغتين الشركسية والروسية ، آخرها سنة ١٩٧٥ .

يتميز شعر شوجن تسوكو بالعمق والعاطفة والألم ، وتعكس قصائده
مآقاسه وعاناه من شدة وحرمان وجوع ، كما تبرز الصراع الطبقي الاجتماعي
في مجتمع مابعد الحرب العالمية الاولى ، وماتعرض له من هزات وتطور .
انتاج شاعرنا غزير رغم قصر الفترة التي عاشها .

- أماء -

هل تدرين بابنك الصغير
مفكرأ، يائساً على شاطئ البحر ؟
دون أم وأب في البلد الغريب^(١)
يصارع للوصول والعودة الى الجبال الشامخة ؟^(٢)
إنني هنا ، لا يبري يوم
يمكنني فيه رؤية أوشحه مافه^(٣)
ولا توجد هنا أم
يا أماء ، تربت بيدها على رأسي مثلك ..

انها مدينة أصلها البحر
تزحف اليها السفن مزمجرة ،

(١) يقصد مدينة استمبول .

(٢) جبال القفقاس .

(٣) الاسم التركي لجبل البروز اعلى قمة في القفقاس .

يخرجون منها البضائع بالسواعد ،
ويمسحون عرق وجوههم بالطرايش المتسخة .

انهم هؤلاء الحمالين ، يا أماه
هم الذين يعطفون علي اليوم ،
« لأحد لهذا التلميذ الصغير » ،
يقولون ذلك وهم يرتبون على ظهري .
إن أكف أمثال هؤلاء ، وإن كانت خشنة
فإنها بملامستها رأسي تصبح ناعمة الملمس ،
وإن كانت يدي لاتطال صدر الأم الحنون ،
فإن هؤلاء يمسكون بيدي للخروج من عهد المهد والطفولة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أماه ! أما كان الاحسن لو لم تلديني .
ولم أجلب لك الاسى والاحزان ،
وقبل أن يصبح ابنك الصغير مهملًا مرميًا
ليتة لم يخلق ، أو ليتة مات

ماذا ارتكبت بحقك يا الهي
لتقذف بي على الارض وحيدًا عاريًا ؟
وأمي الحنون ، دون سبب
لم خلقتها تذرف الدمع ؟

أين العدل من كل هذا
أين الشعور بآلم وبكاء الطفولة ،
وإذا نام ذلك الطفل بين الأخشاب
لم جُبل ممتلئ البطون على الضحك من منظره ؟

لاتخافي ولا تحزني يا أمي الذهبية
فإن القبضات الخشنة ستجعل من ابنك رجلاً
ويعود إليك بعد زمن قصير
وتبسطين رداء لوادي باخسان^(٤)

ARCHIVE
فوست بلقر

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هناك أغنية واسعة الانتشار في كثير من البلدان الأوروبية عنوانها
(لا تنتظر ليالي الربيع) نالت الجائزة الاولى لمسابقة الأغنية في بودابست ،
قلائل أولئك العارفون بملحنها أو واضع كلماتها . إنها واحدة من قصائد
الشاعرة الشركسية فوست بلقر لحنها الموسيقار الهنغاري يوجيف بولينكاس .

ولدت الشاعرة الشركسية المعاصرة فوست ابنة عزيز بلقر ، سنة ١٩٣٢
في قرية صغيرة تدعى كشبك في بلاد الشركس الشرقية ، لأسرة فقيرة تعمل

(٤) اسم الوادي الذي ترعرع فيه الشاعر .

بالزراعة والرعي . وقد ظهرت موهبتها الادبية في فن الشعر خاصة أثناء عملها في التعليم .

بدأت أعمال فوست الادبية بالظهور منذ سنة ١٩٤٦ ، أي وهي في سن الرابعة عشر ، وذلك على صفحات الجرائد المحلية ثم في المجلات الادبية الشرسكية ، وأخذت شهرتها بالاتساع وشعرها بالانتشار بسرعة مما دعا الى نشر أشعار كثيرة لها في المجلات والصحف الادبية الروسية مترجمة عن الشرسكية .

جمعت أشعار وقصائد بلقر في دواوين ومجموعات شعرية تحت أسماء عديدة ظهرت في فترات متفرقة ، نذكر منها مجموعة أشعار (أطرز السماء) عام ١٩٦٧ و (أشعة الشمس ، أصبح آتلي الموسيقى) عام ١٩٧٠ . وغيرها من مجموعات أخرى .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

تتميز قصائد وأعمال الشاعرة فوست بلقر بالدفء والعاطفة الجياشة ، صورها وكلماتها مغلفة بالحب لكل ماهو انساني، وتطغى عليها عاطفتها القومية والوطنية في كثير من أعمالها ، وبشكل خاص في قصائدها الموجهة الى أبناء قومها في بلدان الشرق الاوسط ...

الى امي

(لفوست بلقر)

ماقاساه قلبك في العمر المريب
نام على وجهك منطبعاً تجاعيد .

ولم تحظر بالسعادة الاثوية ،
عندما خطوت الى عش الزوجية •

فعندما كنت تطلين من النافذة الامامية
كنت ترين من اتخذته رفيق عمرك في فناء الدار •
وإن تطرق الشك اليه ، واتقدت النار في قلبه
كان يلوح بعصا الراعي في وجهك •

ودون أن ترفعي رأسك صيفاً وشتاء
أمضيت عمرك صنيعة عنصر الرجال •
والاسى العميق ، واليأس المظلم
جلبا الشيب المبكر الى شعرك الاسود •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعندما كنت تهزين المهد ، عوضاً عن الغناء المرح
كنت أغفو على ترديدك للمراثي
ولما كبرت وأخذت أرقد عند قدميك
عشت نفس المراثي •

يا أمي الذهبية ، إن مرثيتك ، اليوم
قد استبدلناها بأغنية السعادة ،
ومع إغفاءة ابنتي في المهد الحريري الابيض ، اليوم
مهدهة أياها ، تذكرتك •

هل من حرج أن يتذكر القلب الأسى والألم ؟
فأنت جدلت وصنعت سعادة الحاضر ،
فالحياة الجديدة ، دموعك المالحة ،
مسحتها برفق بمنديل أبيض •

حميد برتار

ولد حميد بن يحيى برتار في التاسع من تموز ١٩٣١ ، في قرية قازانوقة
الشركسية في القفقاس الغربي • وأنهى دراسته في مدارس بلاد الشركس
الغربية ، أثناء الحرب العالمية الثانية التي عانت منطقتهم من ويلاتهما ومآسيهما ،
وبعدها • تابع دراسته في جامعة موسكو في كلية الصحافة حيث تخرج منها
عام ١٩٥٨ • كما حصل على درجة الدكتوراة في التاريخ من نفس الجامعة
سنة ١٩٧٠ •

عمل حميد برتار مستشاراً للاداب الشركسية في جامعة موسكو مدة
سنتين ، كما عمل محرراً أدبياً لصحيفة البرافدا الاديفية (الشركسية) ، ويعمل
حالياً في صحيفة الكوبان السوفيتي ، وعضواً في معهد البحوث العلمية في
مقاطعة الاديني الشركسية • ولقد بدأ اسم حميد يلعب في حقل الادب المنظوم
مبكراً ، عندما أخذت الصحف والمجلات المحلية تنشر له قصائده وأشعاره
منذ عام ١٩٤٩ ، واحتل مكانته الشعرية الادبية الرفيعة عبر السنوات التالية
كشاعر مبرز مبدع لا باللغة الشركسية فحسب ، بل وباللغة الروسية أيضاً •

ظهرت أول مجموعة شعرية له سنة ١٩٥٧ وهي (الفجر) أعقبها ديوان (حديث الربيع) سنة ١٩٦٠ ، ثم مسرحياته التي صدرت تحت عنوان (مسرحيات) وأشعاره الجديدة في مجموعة (أشعاع الشمس) سنة ١٩٦٥ . كما ترجم كتابه (اسلامي) الى الروسية نشر في نفس السنة . أما آخر أعماله الشعرية التي وقعت بين أيدينا فهي مجموعة (أغنية المهد) التي نشرت سنة ١٩٧٥ ، ومجموعة (الحب الوحيد) التي نشرت سنة ١٩٧٧ . ولقد نشرت أعمال حميد برتار من أشعار ومقالات ومسرحيات أخرى في كثير من الصحف والمجلات الشركسية والروسية ، كما تم تلحين عدد من قصائده المغناة في القفقاس وخارجه ، كما قام الى جانب ذلك كله بترجمة أعمال اوسترافسكي وغيره الى الشركسية ، ومعظمها مسرحيات مثلث على مسارح القفقاس .

عالج شاعرنا موضوعات عديدة ، لكن اهتماماته الرئيسية منصبة على العلاقات الانسانية ، يمجّد من خلالها الخير والسعادة والحب والصدقة . وتعكس أشعاره تفاؤلاً بمستقبل مشرق . كما تعبر عن نفس رقيقة جياشة بالعاطفة الصادقة ، والاحترام الذي يصل درجة التقديس للصدق والرجولة والبطولة . وتصور لنا قصائد حميد تعلقه وعبادته لارض وطنه وجهه لبني قومه ، والتطور والتقدم الذين قطعاهما في الحياة .

ويعد حميد أحد الشعراء الشركس الذين أولوا عناية لموضوع (الام) أما قصيدة (أحزان الام) التالية ، فلقد ترجمناها من مجموعته (أغنية المهد) .

أحزان الأم

عندما ولد ابني ، الحياة السعيدة
كنت أقدس أمل تدليلها له
موجة فمي جهة القبلة ، الهي العادل
توسلت اليه ليرعاه ويحميه

وعندما نزل النهر ليسبح فيه ، الماء الهادر
رجوته مستعطفة ، أن يبعد أذاه عنه •

لم يفرقه الماء ، عجباً
فهم الماء الجاري استعطاني
ARCHIVE

<http://Archive.org/details/...> وعندما أرسلته الى الغابة ، أن لا يتيه فيها ،

وأن لا يلقاه الذئب ، رجوت ودعوت •

لم يته في الغابة ، عجباً ،

أحسست الغابة بلهفتي

لكنه عندما بلغ مبلغ الرجال ، وخرج من داري

برز له العدو معترضاً طريقه

ووجه الى صدره تماماً

البندقية وشد على زنادها ...

لم يسمع الانسان رجائي ولهفتي
لم يكثرث العدو بتوسلي
يا الهي الحبيب ، يذكرون وجودك
فلاتدع تلك الرصاصة الشريرة تنطلق من البندقية .

لم يكثرث الانسان بلهفتي
ولم يخترق توسلي السماء
وصوت الطلقة التي جرح قلب الأم جرحاً لن يلتئم
سعته في القرية .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

المتألق

عبد النبي حجازي

رواية

فَنَ التَّفْكِيرِ

• ج . والاس

• ترجمة: عبدالكريم ناصيف

في هذا المقال سأطرح السؤال التالي : في أية مرحلة من مراحل عملية التفكير يزج المفكر بجهد الواعي والارادي الخاص بصفته ؟ هنا ، سنجد في الحال الصعوبة التالية وهي : أنه ما لم تتمكن من التعرف على الحدث النفسي وتمييزه عن الأحداث الأخرى لا تستطيع زج الجهد الواعي للتأثير مباشرة عليه ، خاصة وأن حياتنا الذهنية عبارة عن تيار من الأحداث النفسية المختلطة التي تتأثر ببعضها البعض ، ويمكن لأي منها ، في أية لحظة من اللحظات ، أن يكون بداية لحدث أو استمرار أو نهاية له . ولذا يصعب إلى حد كبير تمييزها عن بعضها البعض .

على أنه يمكننا ، إلى حد ما ، تفادي هذه الصعوبة إذا ما أخذنا انجازاً مفرداً من انجازات التفكير — صياغة مبدأ جديد ، ابتكار شيء ما أو التعبير الشعري عن فكرة جديدة . ثم تساءلنا عن كيفية تحقيقه . فعندئذ يمكننا تقسيم العملية ، المتصلة بصورة عامة ، إلى بداية ووسط ونهاية . لقد وصف هلمهولتز ، الفيزيائي الألماني العظيم ، مثلاً ، وهو يلقي كلمة في الاحتفال بعيد

ميلاده السبعين عام ١٨٩١ الطريقة التي خطرت له بها أهم أفكاره الجديدة ، فقال : أنه بعد أن يبحث بحثاً طويلاً في المشكلة في كافة الاتجاهات ... تخطر له بصورة غير متوقعة ، ودونما جهد ، أفكار سعيدة وكأنها الوحي . وبقدر ما يتعلق الأمر بي ، فانها لم تكن تخطر لي أبداً حين يكون ذهني متعباً ، أو عندما أكون على طاولة علي ٠٠٠ بل كانت ترد أكثر ما ترد وأنا أصعد على مهل ، الرابي المكسوة بالغابات في يوم مشمس . ان هلمهولتز هنا يبين لنا ثلاث مراحل في تشكل فكرة جديدة ، سأدعوا ولاها من حيث الزمن بـ « التحضير » وهي المرحلة التي « تبحث خلالها المسألة ... في كافة الاتجاهات » . أما الثانية فهي المرحلة التي يجري فيها التفكير بالمسألة لاشعورياً وأسيمياً مرحلة التخمير أو الحضانة . والمرحلة الثالثة تتكون من تجلي « الفكرة السعيدة » جنباً إلى جنب مع الأحداث النفسية التي تسبق مباشرة وتوافق ذلك التجلي ، وسأطلق على هذه المرحلة اسم « الاشرار » <http://Archive.org>

ثم أضيف مرحلة رابعة لا يذكرها هلمهولتز هنا ، هي مرحلة التحقق . (.....) ان هذه المراحل الأربع المختلفة تتشابك في تيار التفكير اليومي وتتداخل باستمرار مع بعضها البعض ونحن نتفحص ونستكشف مختلف المسائل فالاقتصادي ، وهو يقرأ كتاباً في الاقتصاد ، وعالم التشريح وهو يراقب تجربة ، ورجل الأعمال وهو يتصفح رسائله الصباحية ، قد يكون في مرحلة « التخمير » بالنسبة لمسألة من المسائل كان قد فكر بها قبل بضعة أيام ، وفي مرحلة جمع المعارف والمعلومات « تحضيراً » لمسألة ثانية ، وفي مرحلة « التحقق » من النتيجة

التي توصل لها بالنسبة لمسألة ثالثة بل ان الذهن ، حتى أثناء سبره لمسألة بعينها ، قد يكون حاضناً ، بالاشعور ، لجانب من جوانبها ، في حين يستخدم العقل الواعي لتحضير جانب آخر أو التحقق من جانب ثالث . وينبغي دائماً التذكر أن جانباً كبيراً من التفكير الهام الذي يقوم به شاعر يتفحص ذكرياته ، أو رجل يحاول أن يرى بوضوح ارتباطه العاطفي ببلده أو حزبه ، يماثل عملية تأليف موسيقي من حيث أن المراحل المفضية للنجاح لا تنطبق كثيراً على مخطط « المسألة والحل » . مع ذلك ، وحتى عندما يأخذ النجاح في التفكير معنى إبداع شيء يشعر الانسان بأنه جميل وصحيح بدلاً من حل مسألة محددة ، فإن المراحل الاربع من تحضير وتخزين وإشراق وتحقيق من النتيجة النهائية يمكن ، بشكل عام ، أن تميز عن بعضها البعض .

وإذا ما قبلنا هذا التحليل ، فغداً في وضع يحتم علينا أن نسأل الى أية درجة وبأية وسيلة يمكننا أن نسخر الجهد المتعمد الارادي والسلوك الذي ينشأ عنه ، للعمل في كل مرحلة من المراحل الاربع . لكنني في هذا المقال لن أتناول بالتفصيل مرحلة التحضير ، فالتناس يعرفون منذ آلاف السنين أن الجهد الارادي وما ينتج عنه من سلوك يمكن أن يوظف لتحسين عمليات التفكير لدى الشبان من الناس . وقد صاغوا لهذا الغرض فناً معقداً وقائماً بذاته هو فن التربية والتعليم . وبنتيجه هذا الفن يمكن للانسان المتعلم أن « يركز ذهنه » على موضوع ينتقيه ، كما « يصرف ذهنه » بطريقة لا يستطيعها الانسان غير المتعلم . كذلك يكتسب المتعلم بفضل المشاهدة والحفظ ، جملة

من المعطيات والكلمات التي يمكنه تذكرها والتي توفر له في لحظة التداعي الحاسمة ، نطاقاً أرحب ومجالاً أوسع ، إضافة الى اكتسابه عدداً من تلك الخطوط والمسارات التي يتعود اتباعها في حالات التداعي والتي تشكل « قلم تفكير » ، « كالسياسة الفرنسية » مثلاً ، أو « الفلسفة المدرسية » أو « التطور البيولوجي » وتقدم نفسها كوحدات مستقلة في عملية التفكير .

كذلك فإن المتعلم يعلم ويستطيع ، إبان مرحلة التحضير ، أن يطبق ، سلوكياً وإرادياً ، الاحكام والقواعد التي يوجه وفقها اتبائه باتجاه العناصر المتسلسلة للمسألة . وقد أشار هوبز لهذه الحقيقة حين وصف « التفكير المنظم » في كتابه « ليفياتان » وأجرى مقارنة بينه وبين ذلك « الانطلاق الحر للعقل » الذي يحدث حين تكون عملية التفكير غير موجهة . فالتفكير المنظم كما يقول هوبز هو « البحث » . مثال على ذلك ، يبحث الانسان أحياناً عن شيء أضاعه على غير هدى . . وأحياناً يعرف مكاناً محدداً ، عليه أن يبحث ضمن دائرته حيث تنطلق أفكاره من هناك الى كل الانحاء . وذلك على غرار ما يعمل الانسان وهو يسمح غرفة من الغرف بحثاً عن جوهرة ، أو كلب الصيد الذي يطوف حقلاً ويظل يتجول فيه الى أن يكتشف رائحة ، أو الشاعر الذي يقلب الابدعية كلها كي يبدأ قافية شعرية « فكلب الصيد قد لا يستطيع ، بدماغ الانسان المتعلم ، أن يشم رائحة حبل في مكان بعيد من الحقل بواسطة العقل الارادي المباشر . لكنه يستطيع أن « ينطلق » في الحقل هكذا بفضل الترتيب الارادي الاول الذي يمكن أن تعطى فيه أقل عملية شم إرادية الفرصة التامة لان تنجح .

من ضمن هذه القواعد الخاصة « بالتنظيم » الاولى لتفكيرنا هناك فن المنطق التقليدي بكامله ، والصيغ الرياضية التي هي النظم المنطقي للعلوم التجريبية الحديثة ، وطرائق الفحص المتواصل والمنهجي للظواهر الحالية أو المسجلة التي تشكل أساس علم الفلك والاجتماع والعلوم الاخرى التي تعتمد على المشاهدة . كما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا الاستخدام الارادي للطرائق الاختيار الطوعي لوضع المسألة Quargabe . إذ من غير المحتمل أن يقدم لنا عقلنا جواباً واضحاً على أية مسألة من المسائل ما لم نطرح عليه سؤالاً محدداً ، ومن المحتمل أكثر أن ندرك مغزى أي جزء جديد لدليل من الأدلة ، أو نلاحظ ترابطاً جديداً للأفكار ، إذا ما صغنا مفهوماً محدداً عن قضية ينبغي إثباتها أو نقضها . (.....) ورغم أنني افترضت ، بغية المزيد من الوضوح ، أن المفكر يحضّر نفسه لحل مسألة مفردة ، إلا أنه غالباً ما تمثل في ذهنه (وخاصة إذا كان يعمل في مجال العلوم الاجتماعية بموادها البالغة التعقيد) عدة مسائل قريبة من بعضها البعض ، جرى أو يجري بالنسبة لها كلها فعل التحضير ، كما يمكن أن يظهر ، في مرحلة الاشراف ، حل أي منها ، مقدماً نفسه على حين غرة تماماً .

أما المرحلة الرابعة ، وهي مرحلة التحقق فانها تشابه الى حد بعيد المرحلة الاولى أي مرحلة التحضير . فهي تتم عادة ، كما أشار الى ذلك بوانكاريه ، بوعي الانسان الكامل ، أي أن الانسان « يتحقق » بوساطة العمل الارادي المتعمد ، مطبقاً سلسلة من القواعد والأحكام الرياضية والمنطقية ، تشبه تلك التي يستخدمها في عملية ضبط التحضير والتحكم به .

تبقى هنالك المرحلتان الثانية والثالثة ، أي مرحلة التخمر ومرحلة الاشراق ، فمرحلة التخمر تغطي شيئين مختلفين ، الأول منهما هو أننا أثناء مرحلة التخمر ، لانفكر بصورة ارادية متعمدة في مسألة بعينها وهذه حقيقة سلبية ، أما الشيء الثاني فهو أن سلسلة من الاحداث الذهنية اللاشعورية واللاإرادية (أو ما قبل الشعورية وما قبل الارادية) يمكن أن تجري خلال تلك الفترة وهذه حقيقة إيجابية . لكنني هنا سأناقش الحقيقة الأولى المتعلقة بمرحلة التخمر تاركاً الحقيقة الثانية – المتعلقة بالتفكير الباطني خلال مرحلة التخمر وعلاقة ذلك بالاشراق – لكي أناقشها بصورة أكمل عند التصدي لمرحلة الاشراق . فالامتناع الارادي عن التفكير المتعمد بأية مسألة بعينها ، يمكن هو ذاته أن يتخذ شكلين : الامتناع الذي تنقضي مرحلته في عمل ذهني مكرس لمسائل أخرى ، أو امتناع استرخاء وتخلص من كل عمل ذهني واع . يعتبر النوع الاول من التخمر هو النوع الأفضل لأنه يوفر علينا الوقت . ويمكننا ، على الأغلب أن نحصل على نتيجة أحسن ، من خلال البدء بمعالجة عدة مشكلات متسلسلة ثم تركها بحض إرادتنا دون إكمالها من أجل الالتفات الى مسائل أخرى ، وعدم إنهاء العمل في كل مسألة على حدة . ولقد أخبرني عالم نفس أكاديمي مشهور ، كان أيضاً واعظاً دينياً ، أنه اكتشف ، نتيجة الخبرة والممارسة ، أن موعظته التي يلقيها يوم الاحد ، تخرج ، اذا كان قد حدد المشكلة التي سيتكلم عنها منذ يوم الاثنين ، أفضل بكثير مما لو حددها في وقت لاحق من أيام الاسبوع رغم أنه قد يخصص لها العدد ذاته من ساعات الجهد الارادي في كل حالة من الحالتين . وعلى ما يبدو فان من تقاليد المحامين

المتمرسين أن يتعدوا عن النظر بأية إضبارة من الأضابير حتى آخر لحظة ممكنة لمعالجتها ، وأن ينسوا المسألة برمتها بأسرع ما يمكن بعد معالجتها . إن هذه الحقيقة قد تساعد على تفسير بعض الافتقار للعمق الذي غالباً ما يمكن ملاحظته في رجل القانون النموذجي ، والذي يمكن أن يُعزى لما يبذله من تفكير واع لم يتوسع ، ولم يغنه تفكير ما قبل الوعي إغناء كافياً .

لكن بالنسبة لأشكال التفكير الإبداعي الأكثر صعوبة ، كالقيام باكتشاف علمي مثلاً أو كتابة قصيدة أو مسرحية أو صياغة قرار سياسي هام ، فليس من المستحسن أن يكون هناك فاصل زمني خالٍ من التفكير الواعي بالمسألة المعنية ذاتها وحسب ، بل يستحسن أيضاً أن ينقضي هذا الفاصل بصورة لا تسمح لأي شيء أن يعترض الانطلاق الحر لعمليات الذهن اللاشعورية أو الشعورية إلى حد ما . ففي هذه الحالات ينبغي أن تتضمن مرحلة الحضانة أو التخمر مقداراً كبيراً من الاسترخاء الذهني الفعلي . ولعله أمر مثير فعلاً ، من وجهة النظر هذه ، أن تنفحص سير حياة مائتي شخص من المفكرين والكتاب المبدعين . فعلى سبيل المثال اكتشف إدوارد و. والاس بالمصادفة نظرية التطور بالاتقاء الطبيعي وهو على سريريه يصارع الحمى في سفينة تمخر عباب البحر ، كما كان داروين مضطراً بسبب اعتلال صحته لأن يقضي الجزء الأكبر من ساعات يقظته في حالة استرخاء ذهني وجسمي ، وفي بعض الأحيان يمكن لمفكر من المفكرين أن يحصل على كفايته من الاسترخاء بفضل تخلصه من البطالة التي كان يكافح ضدها عبثاً . لكن ربما كان ما يحسبه بطالة في أكثر

الأحيان هو ، بالحقيقة ، ذلك التلهف والتوق الملح لحلم يقظة مكثف ومستمر من النوع ذاته الذي يصفه أتونى ترولوب أثناء تصويره لطفولته .

ولعل إحدى النتائج لدراسة ييوغرافية (سير حياة) كهذه ستكون صياغة بضعة أحكام بالنسبة للعلاقة بين العمل الفكري المبدع وفضيلة المثابرة . فهناك آلاف من « العباقرة » المتبطلين الذين لا بد لهم أن يتعلموا أنه لا يمكن لأي عمل فكري عظيم أن يتم ، دون توفر درجة من درجات المثابرة والدأب في مرحلتى التحضير والتحقق اللتين لا يمتلك كثيرون منهم أي مفهوم عنهما ، كما أن عادة الكسل قد تكون ذات آثار مفاجئة بالنسبة للمفكر المحترف أكثر حتى مما هي بالنسبة لرجل الأعمال . لكن ، قد يكون من الضروري القول لمفكر ذي صحة جيدة وفكر خصب بالفطرة ، أن المثابرة المطلقة بالنسبة له ، كما كانت بالنسبة لترولوب في سنه الأخيرة ، هي أسوأ اغراءات الشيطان . لقد كان الكاردينال ماينينغ رجلاً شديد المثابرة والدأب ، وكان لا تقطاع مثابرته ، كرئيس شمامسة انجليكاني ، أثناء مرضه عام ١٨٤٧ دور هام ، على أية حال ، في تاريخ المذهب الانجليكاني .

لقد تساءلنا حتى هذه النقطة من المقالة الى أي حد يمكننا أن نحسن من طرائق تفكيرنا في هذه المراحل - التحضير ، الحضنة (بمعناها السلبي أي الابتعاد عن التفكير الارادي بمسألة بعينها) . ومن ثم التحقق - وهي المراحل التي تملك اردتنا الواعية عليها سيطرة كاملة نسبياً . أما الآن فسنناقش المسألة الأصعب بكثير وهي : الى أي حد يمكن لاردتنا أن تؤثر على المرحلة التي

تميز بأن امكانية التحكم بها والسيطرة عليها أقل ، أي مرحلة الاشراق ؟
لقد تكلم كل من هلمهولتز وبوانكاريه عن أن الأفكار الجديدة كانت تتجلى
لهما بشكل عفوي وغير متوقع . وإذا ما عرفنا مرحلة الاشراق بأنها هذه
« الومضة » العفوية التلقائية ، يتضح لنا مباشرة أنه ليس بوسعنا التأثير عليها
بجهد إرادي مباشر ، فلما لأننا لا نستطيع زج إرادتنا وتجنيدنا للعمل الا في
الأحداث النفسية التي تدوم فترة زمنية معقولة .

من جهة أخرى ، فإن هذه « الومضة » النهائية أو هذه « الطلقة » هي
ذروة سلسلة ناجحة من عمليات التداعي التي قد تدوم فترة لا بأس بها . وربما
نسبها سلسلة من المحاولات التجريبية غير الناجحة . وللعلم فإن سلسلة
التداعيات غير الناجحة قد تدوم فترات تتراوح بين بضع
نوا و بضع ساعات . وقد كان يعتقد هـ . بوانكاريه ، الذي
<http://Archivebeta.Sakhr.net.com>
يصف السلاسل التجريبية غير الناجحة بأنها في حالة
مؤلاشعورية بصورة كاملة تقريباً ، بأن هذه السلاسل كانت تشغل حيزاً كبيراً
من مرحلة الحضانة بكاملها . (.....)

لكن اذا ما أردنا التحكم بعملية سيكولوجية ، فانه يغدو من المحتّم
ن لا ندوم تلك العملية فترة زمنية كبيرة وحسب ، بل لا بد أيضاً ان يشعر
لمفكر بهذه العملية وأن يمي ، على الأقل ، أن شيئاً ما يحدث له . عند هذه
لنقطة تبين الأدلة ، على ما يبدو ، أن كلا من سلاسل التداعي غير الناجحة
لتي قد تؤدي الى « ومضة » النجاح ، وكذلك السلسلة النهائية الناجحة

تكون ، عادة ، إما لا شعورية أو أنها (وذلك طبقاً لـ « ارتفاعات » و « انخفاضات الوعي وحسبما يبدو أنه اقتراب من النجاح أو تراجع عنه) تجري في « أطراف » أو « هامش » الوعي الذي يحيط بـ « بؤرة الوعي إحاطة «الهالة» بقرص الشمس المضيء . وهذا « الوعي الهامشي » قد يستمر حتى لحظة « الوميض » فقط ، كما قد يرافقها ، بل ربما يستمر بعدها في بعض الحالات لكن ، مثلما يصعب علينا أن نتطلع الى هالة الشمس ، ان لم يكن يخفي القرص كسوف كامل كذلك يصعب علينا كثيراً أن نراقب « وعينا الهامشي » ونرصده في لحظة الاشراق الكامل ، أو أن نتذكر « الهامش » الذي سبق تلك اللحظة بعد أن يحدث الاشراق . فنحن ، كما قال وليم جيمس « عندما نصل الى النتيجة ، ننسى دائماً معظم المراحل التي سبقت وصولنا إليها » .

وإني لأجد من المناسب هنا أن أستخدم مصطلح « الحميمية » لوصف تلك اللحظة من لحظات الاشراق ، عندما يكون وعينا الهامشي لسلسلة التداعي في حالة تصاعد يدل على أن ومضة النجاح ، ذات الصفة الشعورية التامة ، آتية . وإذا مادامت هذه « الحميمية فترة زمنية معقولة ، وكانت إما شعورية الى حد كاف أو يمكن بتركيز الانتباه أن تصبح هكذا ، فإن من الواضح أنه يفدو بالامكان زج إرادتنا للعمل في تلك اللحظة . اذ يمكننا ، على الأقل ، أن نحاول كبت أو إطالة أو تغيير اتجاه النشاط الدماغي الذي تدلنا الحميمية على أنه جارٍ . وإذا ما رافقت الحميمية سلسلة متصاعدة لتداعٍ يقبله الدماغ ،

□ ترجمة : عبد الكريم ناصيف □

كأن يسره مثلاً أو يبهجه انما لا يمكن دون تركيز الانتباه ، المضي بشكل آلي الى « ومضة » النجاح الواعي ، فإنه يظل بإمكاننا أن نحاول التمسك بسلسلة كهذه بانتظار الفرصة التي قد تأتي عقب ذلك وتنجح بها .

عن كتاب الابداع » Creativity « ، الناشر ب . ي . فرنون .
بنجوين .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

طائر النار

قمر كيلاني

رواية

لوكريتسيا تلهو بالدّمية

قصة (إيطاليا)

• ترجمة: محمود لوله

• محرر: بشير بانينكو

مرت الراهبة عبر المجمع • المصباح الصغير يشع نورا شاحبا فوق رسم العذراء • على ذاك الضوء البعيد الواهن ، مرت الراهبة بين صفى الاسرة ، تستنشق الرائحة الكثيفة التي تنبعث عن الطفلات النائمات في ليلة من ليالي الصيف الحارة ، دون أن تلاحظ أن أحد الاسرة ، بالرغم من تبعثره كما لو أن أحدا ينام فيه ، كان خاليا • رقمه /١٤/ • فلو أنها لاحظت ذلك في الصباح لكانت فتشت أرجاء الدار الواسعة بحثا عن طفلة كانت تشغله اسمها ناتاليا • ولأدركت فيما بعد أن الطفلة قد هربت ، ولأخبرت الشرطة بالحادث • لكن عقارب الساعة كانت تشير الى العاشرة ليلا ، فالوقت تأخر ، والنعاس تملكها ، وعلى هذا الضوء الواهن لم تبين خلو السرير من شاغلته •

في مثل هذا الجو الحار يتجول الرجال في الشوارع بمقصانهم فقط ، بينما يحملون السترة على أذرعهم • مر أحدهم بالقرب من الفتاتين اللتين كادتا الوصول الى منعطف الطريق ، وهي زاوية مظلمة ، فاتبه اليهما في اللحظة الاخيرة حين بادرت احدهما بالتحية : « مساء الخير » •

التفت الرجل نحوهما الفتاة سريعة ، ودون أن يجيب تابع سيره .
« تقرب الساعة من الثانية » ، قالت الفتاة ذاتها . كان قد أصبح من النادر أن يمر أحد في الشارع ، والمقهى الذي على زاوية الطريق كان قد أغلق أبوابه . قبل هذا وقت سيارة أمام الفتاتين ، الا أن من فيها كان ثملا للغاية ، أراد منهما أن ترافقاه الى البيت ، فأبتا لما قد ينجم عن ذلك من مخاطر .
« ثمة من هو قادم نحونا » قالت الفتاة الثانية . فقد كان ثمة شاب على الرصيف المقابل يعبر الشارع . اتجهت الفتاتان نحوه بخطوات مسترخية ، احدهما تؤرجح محفظتها اذ أمسكتها بالحمالة . توقف الفتى أمامها . « أهلا بالمهندس » قالت له التي كانت ترتدي ثوبا أخضر اللون وذات شعر أحمر مسرحا بعشبة ، أشعثا ، كما لو كان شعرا مستعارا . بينما كان الفتى يتأبط ملفا كبيرا من الورق . قال والسيكارة بين شفتيه : « كبريتا » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الفتاة الاخرى ذات الثوب الاسود الذي تنتشر عليه ورود كبيرة برتقالية اللون ، والتنورة الواسعة بفتحة عريضة من الامام ، تناولت الولاعة من محفظتها وأشعلت له السيكارة .

سأله الفتاة ذات الثوب الاخضر : « أينما تفضل ، الشقراء أم الحمراء »
نظر الفتى اليهما وأرسل من أنفه سحابة من الدخان ثم قال : « الحمراء » ؛
لكن نقودي قليلة .. « باستمرار كلكم شحيحون » ، قالت الاخرى وهي ذات شقار حنطي أو أفتح قليلا تشوبه بعض الانعكاسات الخضراء الغريبة .
ابتسم الفتى وتمتم ببعض الكلمات والسيجارة في فمه فاقتادته الحمراء

من ذراعه وانطلقت به قائلة : « انه لمبلغ زهيد لكنني أعجبت بك كثيرا ،
يعجبني النخفاء العصبيون من أمثالك » .

بقيت الاخرى وحدها . فتحت المحفظة ، وهي تنظر اليها يتعدان ،
ثم نظرت الى الساعة دون حزام التي هي داخل المحفظة ، لقد تجاوزت الثانية .
أمسكت بعلبة السجائر وأشعلت منها واحدة . وبينما كانت تشعلها أحست
ببعض قطرات الماء الباردة تسقط على وجهها وعلى ظهرها العاري . والآن
جاء دور المطر أيضا ، قالت محدثة نفسها . سيئة هذه الليلة ، لكن من حسن
حظها أنها قرية من المنزل . قصف الرعود السماء يجلجلل سمعها .

وهي في هذه الاثناء أحست أن ثمة شخصا وراءها . التفتت بسرعة ،
مسكة محفظتها بقوة ، فقد حدث ذات مرة لأحدى زميلاتنا أن أغاروا
عليها وسلبوها كل ماتملك ، وبقيت قعيدة البيت لمدة أسبوع بوجه متورم
من أثر الصفعات لم تتبينها في البداية ، لأنها صغيرة ترتدي ثوبا رصاصيا قاتم
اللون . أو بالاحرى رأت أول مارأت فقط قدميها لأنها كانتا عاريتين من
الحذاء والجورب . ظنت أنها ربما كانت غجرية نزلت المدينة لتتهب برفقة
أيها أو أخيها . نظرت بعيدا على امتداد الشارع لترى ان كان مع الطفلة أحدا .
لكن دون جدوى ، وسمعت صوتا يقول : « أنا عطشى ياسيديتي » .

نظرت الفتاة في عيني الطفلة الضارعتين اليها ، والمطر يزداد غزارة .
كانتا عينين غريبتين ، واسعتين كأنهما ليستا عيني طفلة وانما عينا فتاة صبية ،
رأت فيهما أشياء كثيرة ، لابل كثيرة جدا .

قالت الفتاة بحيرة : « عطشى » . والمطر في كل لحظة يزداد غزارة عن ذي قبل ، فالتجأت تنقيه تحت مظلة حائطية .

تقدمت الطفلة منها بخطوتين اثنتين ، ووقفت تحت المظلة الى جانبها ، ثم قالت : « أنا عطشى ياسيديتي » .

سألتها الفتاة : « وهل أنت وحدك » . حبة مطر كبيرة سقطت على السيارة فأطفأتها . فرمتها أرضا . أومأت الطفلة بالايجاب . « والماما » . فلم تجب . « وأين ييتكم » . فلم تجب أيضا . سألتها الفتاة : « لماذا لاتجيبين » . ولكن دون جدوى . فاشتد غيظ الفتاة . لاتريد لنفسها أي نوع من أنواع المشاكل ، وهذي الطفلة القادمة من حيث لاتدري قد تكون مشكلة بحد ذاتها . ربما هربت من البيت أو من الملجأ ، فكرت في أن تسلمها الى قسم الشرطة ، لكنه مكان لاترغب في التردد عليه . قالت لها : « والآن تشتد غزارة المطر » ، ثم دون أن تلتفت اليها مشت بخطى حثيثة باتجاه مجموعة البيوت القديمة خارج الساحة ، فهي البيوت الوحيدة التي بقيت قائمة في وجه موجة عارمة من تشييد المباني الجديدة الشاهقة ، حيث دخلت الزقاق المؤدي الى منزلها . التفتت الى الوراء حين سمعت حفيف القدمين الصغيرتين العاريتين على الطريق المبللة اللامعة . « أنا خائفة ياسيديتي » ، قالت الطفلة . لم تكن تبكي . كانت تبدو رزينة ، الا أن العينين أصبحتا أكثر حزنا . فكرت الفتاة انها لاترغب في توريط نفسها بالمشاكل ، لكن حينما رأت الطفلة جامدة بهذا الشكل تحت المطر المنهمر كالسيل ، مدت لها يدها . حينذاك أحست باليد

الصغيرة تشد على يدها ، فهرعت باتجاه باب الدار تجرّها خلفها . « انتظري كي أفتح الباب » قالت لها ، وحالما فتحت الباب دفعتها فورا الى الداخل .

قبل كل شيء أعطتها لتشرب من ماء الصنبور ، وبالرغم من سخونة الماء فقد شربته الطفلة بنهم بالغ ، فاستعت أساريها قليلا . ثم قدمت لها الطعام . كان عندها فقط الخبز والحليب، حتى أن الحليب يكاد يصير فاسدا .

سألته بعد ذلك : « ماسك » . تحتوي الغرفة على سرير بلا مسند شبيه بأسرة المهاجع ، أكثر مما يكون بالاريكة . وفي الطرف الاخر ثمة أريكة خضراء مهترئة بجانبها طاولة مستديرة الشكل عليها أحيص مليء بالقرنفل الذابل . هواء الغرفة مفعم برائحة القرنفل وبالروائح المنبعثة عن البيوت القديمة . أما النافذة فهي تطل على فتحة مساوية مظلمة . والسماء لاتزال تمطر .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« فاتاليا » أجابت الطفلة ، وهي تنظر الى الصورة التي في داخل الاطار الموضوع على طاولة واطئة الى جانب السرير ، فهي صورة شاب أشقر يرتدي قميصا حلت أزرار رقبته العارية من ربطة العنق ، تعاير وجهه لطيفة ومهمومة .

« أما عندك بيت أو أم » سألتها الفتاة بينما كانت تنزع ثوب الورود عن جسدها ، وبقيت بقميص داخلي قصير ، قرميدي اللون ، ينحسر عن ساقين سمراء البشرة لاي فعل الشمس لانها لم تذهب الى البحر ، وانما بفعل صباغ أعفاهما من لبس الجورب .

لم تجب الطفلة بأية كلمة ، وأدركت الفتاة أن الطفلة انما تتصرف بهذا

الشكل لتخفي ماعندها . تقدمت لتجلس الى جانبها على الاريكة العتيقة وأمعنت النظر في ثوبها الخامي ذي اللون الرمادي القاتم ، فهو مخاط من قماشة ثوب آخر ، وتعرفت أيضا على نوع القماش اذ أنها هي أيضا كانت في دير للفقراء وهي طفلة ، كما عاد الى فيها طعم الحساء الاصفر المائع الذي تحضره الراهبات انها تتذكره طيلة حياتها .

« هل أنت هاربة من الدير » سألتها الفتاة وهي تدرك تماما أن الطفلة لن تجيب حتى في هذه المرة . وبالفعل كان ذلك . عندئذ نهضت ومضت لتشعل سيجارة . ثم تناولت زجاجة من الخزانة التي تحفظ فيها ملابسها ، وأمت المطبخ الذي يشكل والغرفة كامل الشقة ، غسلت الكأس الوحيدة من بقايا الحليب الذي شربه الطفلة ، ثم صببت فيه مقدارا كبيرا من المشروب الكحولي لتخسسه جرعة اثر أخرى ، بينما كانت تمسك باليد الاخرى سيجارة مشعلة .

« لارا ، لارا ، لارا » بدأت تندندن بصوت خافت بعد أن تركت الكأس من يدها أغنية تحبها « ... عالقة كالبلابل » . عادت الى الغرفة والطفلة لا تزال على الاريكة جالسة باستقامة ويدها على ركبتيها . زرعت المسافة القصيرة التي توفرها الغرفة جيئة وذهابا وهي تدخن ، مفكرة كيف أن الطفلة هربت من الدير ، دير البؤساء ، كما هو واضح من الثوب الذي ترتديه . لم تكن لديها بالطبع أية رغبة في الاحتفاظ بها ، خاصة وأنها تحتاج الى الغرفة لايسكنها بالطبع ، تواصل التفكير ، أن تشرح للطفلة أسباب حاجتها

للغرفة . صباح غد ، فكرت ، عليها أن تسلم الطفلة الى العجوز روزيتا ، صاحبة البيت ، لتقوم بدورها بتسليم الطفلة الى قسم الشرطة .

قالت للطفلة : « ألا تشعرين بالنعاس » .

بدا على الطفلة وكأنها تفكر في أمر ما ممعنة النظر فيها بعيني صبية يشوبها قليل من الحزن الدائم ، ثم أجابت : « لأدري » .

ضحكت الفتاة بانفعال . نزعت عن جسدها ثوب النوم ، اذ زادها المشروب حرارة . بانت كلها سمراء البشرة بفضل الصبغة ، فالنساء السمر في الصيف أشد جاذبية . فكرت في البداية أن تجعلها تنام في سريرها ، فقد يكون النوم مزعجا على الاريكة المتهترئة بنوايضها المغطاة بالمخل . الا أنها خجلت من ذلك السرير وقررت أن ترقب لها على الاريكة مرقدا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت لها : « سترين كيف أنك تشعرين بالنعاس » .

وبعد أن انقضت من ارقادها على الاريكة ، عادت الى المطبخ لتنهي كأسها . « عالقة كاللبلاب » . طعم الحساء المقرف ذو الحموضة اللاذعة الذي كانت تتناوله في الدير عاد ثانية الى فمها فصبت لتشرب من جديد .

صباحا ، قالت لها العجوز روزيتا أن عليها أن تدبر أمرها بنفسها ، وأنها لن تذهب الى قسم الشرطة لاصطحاب الطفلة . ومقلمة الاظافر أيضا ، التي تقطن قبالتها قالت وهي تهز برأسها : « في قسم الشرطة يوجهون أسئلة كثيرة ، أنت على الاقل لك اضبارة ، يعرفون من أنت ، وسيتركونك بأمان ، لكنهم

عندما سيتكلمون معي فيعرفون أنني أعمل مقلمة أظافر كستار، وسيضايقونني الى ما شاء الله » .

عندئذ حاولت أن تكلم ابن بائعة الخبز الذي كان يستند على الباب عند عتبة الدكان ، الا أنه بادرها بتصرفاته البليدة .

قال مبتسما كالأغبياء : « موافق ، سأصطحبها الى قسم الشرطة ، ولكن ماذا ستعطيني مقابل ذلك » .

ابتسمت له صابرة ، وفكرت أنه يقتضي التحلي بالصبر دائما مع الرجال، ثم قالت : « تدبر أمر بعضينا » .

حين رأت الام ابنها يتحدث معها ، فادته من داخل الدكان وهي تلبى طلبات الزبائن : « بينو ، أدخل » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« كيف ستتدبر أمر بعضينا » ، قال لها وعيناه مليتان بمزاح ماكر .

قالت له بسأم : « كف عن هذا يا بينو . سأزل مع الطفلة حالا وستصحبها معك الى قسم الشرطة » .

« يا بينو » ، فادته بائعة الخبز من داخل الدكان . كان صوتها مفعما بالغيط ، فهي عجوز طاعنة في السن ، حتم عليها أن تسكن في هذا الشارع المكتظ بالنساء العاهرات ، وهكذا منذ أن شب بينو وبلغ الرابعة عشر ، أو الخامسة عشر من العمر أصبح يعيش والغضب يتفجر من جسده الذي تنهكه هذه التعيسات .

قال بينو : « للحظة واحدة ، بعدها اصطحب الطفلة الى قسم الشرطة ، وليس قبلها ، اذ لا يمكن الاطمنان الى تعابير وجهك » .

فلتفرق أنت وأمك . قالت ذلك في خلدتها دون أن تنطق به . ان الرغبة في التخلص من الطفلة بأقصى سرعة ممكنة كانت أقوى من أي شيء آخر ، نظرا للخوف الشديد الذي يملكها من الوقوع في المشاكل ، فحاولت التفاوض ثانية مع هذا المهرج : « ولكن قبل ذلك مستحيل لوجود الطفلة يا بينو ، بينما بعد أن تكون قد سلمتها الى الشرطة سيخلو لنا المكان » .

فادت بائعة الخبز ثانية : « يا بينو » .

قال بينو بوقاحة : « اما فورا واما لاشيء » . لكنه بدا واضحا أنه لم يكن يرغب في اسدائها هذا المعروف ، ولا حتى أنه كان يحرص على الذهاب معها ، فقد تحرك باتجاه الداخل قائلا : « أمي تناديني » .

حينئذ فكرت أنه لم يبق لديها سوى « جاني » . ربما يقيم الدنيا ويقعدها عندما يعلم أنها جاءت بهذه الطفلة الى البيت ، وربما أنه لن يتلصق في تسليمها الى الشرطة لانه حريص جدا على ألا تراوغه وكي يوفر لها امكانية العمل ، والا ، فستصبح جيوبه خاوية من النقود .

اتصلت به هاتفيا من المقهى ، وانتظرته هناك . كانت تحس بألم في المعدة ، وكي تزيل هذا الألم شربت كأسا من « البيرنود » أثناء فترة الانتظار . وصل جاني على الفور . بعد أن شرب على حسابها كأسا من « البيرنود » دفعة واحدة ، قال لها : « والآن تلمنين شتات الطفولة الضائعة » .

قالت : « ولكنني لم أكن أرغب في ايوائها . كان المطر غزيرا فعز علي تركها على قارعة الطريق » .

قال : « أجل ، فهمت ، قلبك رقيق ، والان تناديني لاتتشك من المصيبة » . طلب فنجانا من القهوة ليغسل طعم البيرنود من فمه ، ثم قال : « أعطني أجرة التكسي ، فأنا لأمشي مع الاغرار » .

فتحت المحفظة وتناولت منها ورقة من فئة الالف لير . رفع جاني السيارة من بين شفتيه وقال : « هذا لا يكفي أجرة للترام ، لاتصنعي النعاس » .

طلبت كأسا ثانيا من البيرنود ، طالما أن الكأس الاولى أفادتها ، وتناولت من المحفظة ورقة من فئة العشر آلاف لير وأعطتها له .

ذهبا الى البيت فوراً . التفتت الطفلة الى حيث سمعت حركة المفتاح في قفل الباب ، اذ كانت واقفة أمام النافذة .
<http://Arch>

حالما دخلت رمت محفظتها على السرير الذي لم يرتب بعد ، وحدثت نفسها مقتربة من الطفلة : حسنا طالما جاني سيذهب بها من هنا . ربما كانت الشرطة تبحث عنها والصحف تتحدث عن فقدانها . فتملكها خوف مريع لمجرد التفكير في أنهم قد يتهمونها بسرقتها ، أو ، من يدري ، بشيء أسوأ من ذلك . قالت لها : « ناتاليا ، هذا صديقي جاني . اذهبي الآن بصحبته للنزهة » ثم التفتت الى جاني وقالت : « عرج بها على المقهى وأطعمها الفطائر » . لكن الطفلة أكبر من هذا ، وقد تعرف أشياء كثيرة ، وربما كثيرة جدا ، فقد ارتسمت على جبينها المدور بعض التجاعيد الطفيفة ، وعبرت العيون عن

أشياء أكثر من الحزن ، بدت فيها تعابير المرارة واليأس ، رجعت الى الورا
خطوة ، خطوتين ، ثلاث خطوات ، استندت على الحائط ثم جرت قدمها بخطوة
أخرى على طول الجدار . لم تصدق موضوع النزهة والمقهى وفطائره .

قال جاني : « لنذهب . تعالي معي » .

ظلت اليها الطفلة ييأس ، ثم ظرت الى يد جاني الضخمة القذرة
المتدة لأخذها ، فهربت باتجاه الطرف الآخر من الغرفة الى جانب السرير .

صرخ جاني في وجهها وهو يقترب منها : « تعالي هنا ، أفهمت » .

حينما سمعت الطفلة هذا الصوت الحاد بدأت تنحب قابعة في ذاك
الركن من الغرفة . بكّت ، دون أن تبس بينت شفة ، يكاء كبكاء الكبار .
أمسك جاني بذراعها بينما كانت هي تنسحب بأغطية السرير بشكل يائس .
شدها اليه بعنف ، فتألمت متمسكة بأغطية السرير .

انفجرت الفتاة صارخة في وجهه : « لا تؤلمها » .

فقال جاني : « اسكتي أيتها الغبية ، اذا كانت ستبكي في الطريق بهذا
الشكل فانهم سيقبضون علي قبل أن أصل بها الى قسم الشرطة » ثم
التفت الى الطفلة رافعا يده كما لو كان سيصفعها ، قائلا بلهجة غاضبة : « كفي
عن البكاء وارمي بتلك الاغطية » لكن الطفلة حاولت الافلات بكل ماأوتيت
من قوة من قبضته التي تعتصر ذراعها .

فقال جاني : « خذي اذن هذه ، أريد أن أرى فيما اذا كنت ستهدئين » .

وهوى بكفه مابين الرأس والوجه ، بالقرب من الاذن ، مجلجلا الطفلة التي تركت الاغطية من يدها وبدأت تتحب ألما .

حينذاك أرتعشت الفتاة وطعم الحساء المقرف الذي كانت تحضره الراهبات قد عاد الى فمها ، وانحت لتلتقط زجاجة الكونياك الفارغة الموجودة بجانب السرير ، فقد أفرغتها أثناء الليل وهي تفكر في موضوع الطفلة ، ورفعتها بحزم في وجه جاني .

قالت مهددة : « دعها وشأنها والا حطمتها على وجهك » .

جاني كان يعرف حالات الغضب التي تعترها ، فترك الطفلة التي فرت منتجة الى المطبخ قائلاً : « خذوها أنت اذن ، واصطحبها معك للنزهة عند المساء » . ابتسم بفم مغلق والسيجارة بين شفتيه .
قالت له : كان عليك ألا تضربها بهذه القوة .

قال : « ولكني لم أكد ألمسها ، ياغية » .

ذهبت وفتحت له الباب : « أخرج » ممسكة بالزجاجة .

ابتسم جاني ثانية بفم مغلق : « سأتركك الآن ، لكنني في المرة القادمة سأعجن لك هذا الوجه عجنا » . أغلقت الباب في ظهره وأقفلته بالمفتاح ، لأن جاني اذا أعاد التفكير فقد يعجن بالفعل وجهها دون تردد . وضعت الزجاجة على الطاولة وأمت المطبخ النتن . كانت الطفلة تقتعد الارض تحت المفصلة الى جانب سلة القاذورات البلاستيكية . فصوبت نحوها عينيها

الكبيرتين الشبهتين بعيني امرأة طاعنة في السن ، كاتا متورمتين بالدموع ،
والعين اليمنى توشحت زاويتها بالسواد من أثر الصفة .
قالت لها : « تعالي يا ناتاليا ، فقد انصرف » .

نهضت الطفلة وأحضنتها من ساقها ، ملقية برأسها في حضنها ، على
التنورة الواسعة والقصيرة جدا ، ذات الورود البرتقالية اللون على أرضية
سوداء ، بينما وضعت الفتاة يدها على رأسها . شعرها قاس من الوسخ .
مرت بلسانها على شفتيها كما لو أنها تكاد تبكي حينما كانت هي أيضا طفلة .
لكن طعم أحمر الشفافة أقرفها فلم تبك . فكرت ، انها لا تستطيع الاحتفاظ
بها ، وكلما مرت ساعة كلما أصبحت العضلة أكثر خطورة ، لكنها هزت
كفها مفكرة : لا يهمني شيء البتة ، يمكنني الاحتفاظ بها هذا اليوم
أيضا .

في الساعة الحادية عشر من مساء ذلك اليوم لم تخرج من البيت كمعادتها
في أماسي الايام الخالية . لم تأسف على شيء ، لأن السماء كانت تمطر بشكل
متواصل ، ولم يكن ليروقها التسكع في الشارع تحت المطر . أثناء النهار
غسلت الطفلة ، حيث كانت تسخن الماء على الغاز في المقلاة . غسلت لها شعرها
وليست به مسحه بقليل من المساحيق فأضحى لماعا . قبيل حلول المساء خرجت
الى السوق وأشرت لها ثيابا داخلية وجوريا وحذاء وثوبا ، كان الثوب
أخضر اللون ، فستقي ،جميل الشكل ، عليه مسحة خفيفة من اللون الاصفر .
فرحت الفتاة كثيرا عندما آكستها إياهم ، لم تملك أبدا دمي ولا أخوات

صغيرات لتلبسن الثياب ، لكن خيل لها أنها تقوم بفعل شيء طالما كانت تتمناه دائما .

وربما بفعل هذا الحنان الغريزي الذي أحست به الطفلة . يكتنفها ، فقد بدأت تجيب على أسئلتها . كانت في دير لأمثالها من الاطفال اليتامى من الاب والام . لكنها هربت منه لتؤكد لها من أن والدها لا يزال على قيد الحياة . عندما كانت طفلة صغيرة جدا ، تذكر أن شخصا ما قال لها أن والدها ذهب بعيدا ، في رحلة بعيدة ، وقد يعود . الا أنه بعد ذلك وضعها في الدير ، والراهبة قالت لها أنه مات ، لكنها لا تصدق الراهبة ، وأنها تريد العودة الى روما حيث ولدت ، فقد تعثر عليه .



سألتها : « كم هو عمرك » .

أجابت : « ثماني سنوات » .

في المساء ، بعد أن أعادت ترتيب البيت بمساعدة الطفلة ، أخرجت من تحت السرير الحاكي اليدوي القديم المغبر ، من يدري ان كان لا يزال صالحا . كانت لديها اسطوانة لاغنية « طيري يا حمامة » بصوت نيللا يتسي . بالرغم من نشاز الاغنية عبر مكبر الصوت المهترئ . فقد كانت ناعمة . أصغت الطفلة الى الاغنية واقفة على قدميها بجانب النافذة وخلفها السماء البعيدة الغائمة حيث انحجب القمر عن الاقطار ، وتلقي رأسها على كفها بوضع طفولي ، لا بل بوضع منغمس في التفكير العميق .

سألتها : « هل تعجبك » .

لم تجب الطفلة ، حينئذ تتبع نظراتها ، اذ كانت مصوبة نحو الصورة الموضوعية على الطاولة الواطئة بالقرب من السرير ، فهي صورة شاب أشقر يرتدي قميصا مفتوحا من الامام بشكل يظهر فيه عنقه ، تعاير وجهه لطيفة ومهمومة .

سألتها : « ولماذا تنظرين اليها »

فسألتها الطفلة : « أهو خطيبك »

ذهبت لتجلس على السرير ، و نظرت الى الصورة عن كذب ثم قالت :
« أجل »

ان فكرة الادعاء بأن لها خطيب أحزنتها . فقد حظيت بخطاب عديدين لابل كثيرين منذ سنوات خلت ، كلهم كانوا يريدون الزواج بها ، لكنه في نهاية المطاف لم يتخذ أحد منهم أي قرار بشأن ذلك .

« من يدري ان كان أبي يشبهه » ، قالت الطفلة هذا وهي تدنو من الصورة لتراها عن كذب .

ابتسمت لها ودغدغتها من عنقها ، ثم همست لها بصوت خافت جدا :
« أذهبي الآن الى الفراش فقد تأخر الوقت ، ثم اذا كان والدك لا يزال على قيد الحياة فستشعرين عليه ، انما ليس بمفردك ، فسيساعدك شخص ما ، فأنت لاتزالين جد صغيرة » .

قالت الطفلة : « وهل ستساعديني أنت »

حتى تجعلها تذهب الى الفراش ، لأن لديها رغبة في الخروج الى المقهى من أجل شراء زجاجة بيرنود ، قالت لها : « أجل ، سأساعدك » . أصبحت قلقة بشكل أكبر مما كانت عليه في أمسيات الايام التي كانت تشتغل فيها على الشارع القريب . ولعلها تكشح القلق بالمشروب . كانت تراودها بعض الحماقات ، كان تحتفظ بالطفلة الى الابد ويقتضي عليها أن تشرب حتى تكشح عنها هذه الحماقات .

سألته الطفلة وهي تساعدها في خلع ثيابها :

« ما اسمك » . أجابت : « لوكريسيا » . نامي الآن هنا مطمئنة فأننا خارجة لدقيقة واحدة ، وسأعود حالا » حينذاك رأت تتشكل على جبينها هاتيك الاخاديد الصغيرة أسفا وخوفا . فقالت لها : « لا تخافي ، سأعود حالا » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت الطفلة : « أنا خائفة » . فتراجعت وجلست بجانبها على الفراش « لن أذهب ، هل أنت الآن مسرورة » . وثبتت الطفلة من فراشها المهترىء وارتمت بين أحضانها « كثيرا جدا يالوكريسيا » . ضمتها الى صدرها وهي تنظر الى صورة الشاب الاشقر . من يدري لماذا تحتفظ بها عندها . لا تفيدها بأي شيء . « بيل » واحد من جملة العديدين ، الا أنه ألطف منهم بقليل . فقد كان يعاملها كإنسانة حملت الطفلة بين ذراعيها وأعادتها الى الفراش ، وفجأة خطر بباليها « بيل » . أجل ، قد يساعدها حتما . لكنه في بلد ملعون يبعد خمسين كيلو مترا عن هنا ، وليس لديه هاتف . بإمكانها الكتابة اليه ، فلو ذهبت

ووضعت الرسالة المستعجلة في بريد المحطة ، وأستلمها في اليوم التالي، فيسكون هنا عند المساء ، « تصبحين على خير يا ناتاليا » قبلتها ، ثم راحت تبحث عن ورقة ومغلف ، وفي أحد الادراج عثرت على قلم حبر ناشف منسي لا يزال صالحا للكتابة .

جاء بيل كغيره ، ذات مساء بعد منتصف الليل ، الى زاوية الشارع ، كانت هي موجودة هناك كمعادتها مع جيغي ، فتاة الشعر الاحمر ، الاشقر والاحمر منسجمان ، اذا توقف شخص عندهما تسأله أحداهما : « أيهما تفضل الشقراء أم الحمراء » ، سألته يومذاك جيغي ، فأجاب بيل « الشقراء » في البيت ، أو بالأحرى ، في هذه الغرفة ، جلس على الأريكة حيث تنام الآن الطفلة ، ولبت صامتا يدخن ويشرب البيرنود . بعد أن شرب ما فيه الكفاية بدأ يبكي . كانت قد ماتت خطيبته ، ومنذ أربعة أشهر لم يكشف على امرأة . يومذاك فكر أن عليه أن ينساها ، اذ لا يمكنه أن يبكيها مدى حياته .

فجاء الى المدينة يبحث عن فتاة ما . شقراء ، كما كانت خطيبته . لكنه أدرك الآن أن ليس بإمكانه معاشرة امرأة أخرى ما من أحد يدري كم يلزم من الوقت حتى يستطيع معاشرتها . أعتادت هي على السكاري ، لا بل كانوا من اختصاصها كما كانت تقول جيغي ، فحاولت تهدئة خواطره وانسائه إياها . لكنه نهض واقفا ، وأبتعد عنها بلطف واضعا النقود تحت أصيص القرفل قائلا : « سأعود ثانية » .

صار يأتي بانتظام ، كل خمسة عشر يوما ، لمدة ثلاث سنوات . بعد فترة وجيزة لم تعد تنتظره مساء يوم الخامس عشر في الشارع ، وانسا في البيت ، متأكدة أنه لن يخلف مواعده . كان بعض الاحيان يجلب معه بعض المأكولات ، فيتناولان طعامهما في البيت، ثم يقصدان السينما، أو كان يدعوها الى أحد المطاعم . عندئذ كانت تسمح عن وجهها كل الالوان ، ترتدي الفستان الازرق وتحاول أن تبدو قدر المستطاع امرأة كباقي النساء ، الا أن بعض التصرفات كانت تخونها كأن تدخن والسيجارة باستمرار بين شفيتها ، أو عادة هز المحفظة ممسكة بها من حزامها ، تسريحة الشعر المبعثرة . وكانت تلاحظ دائما أن ثمة رجلا ينظر اليها بامعان . لذلك طلبت منه ألا يصطحبها معه خارج البيت بعد الآن ، لكن بيل أجاب : « سأصطحبك معي الى كل الامكنة ، فثمة الكثيرات من هن أسوأ منك حالا ، حتى ولو كن لا يبدن كذلك » .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بعد انقضاء العام الاول ، مرت فترة من الزمن كان يحدثها فيها عن فتاة قد يطلب يدها ، الا أنه بعد عدة أشهر من ذلك أخبرها أنه تركها . ومر الآن عام وهو يعرض عليها خلاله الذهاب للعيش معه . لا يتزوج بها ، لأنها متزوجة ، لا بل كان الزوج هو الذي دفعها الى قارعة الشارع . ولو لم يكن الامر كذلك لتزوج بها . لكنها كانت تعرف ما تؤول اليه مثل هذه الامور ، فالرجال عاطفيون جدا بعض الاحيان ، الا أنه بعد فترة وجيزة سيتملكه الملل منها ، أو أنه سيخجل من الاستمرار مع واحدة من أمثالها ، عندئذ يتحتم عليها البدء من جديد . لهذا كانت تحاول أن ترفض دون الاساءة

اليه ، واصفا اياه بالجنون . لكن ييل كان يلح عليها بذلك ، بالرغم من مراوغتها له ، وبعض الاحيان تكاد ترضخ ، لكنها كانت واضحة الرؤية ولم تعد تعتقد في أي شيء .

منذ عام واحد لم تعد تقبل منه نقودا . لذلك كان ييل يقدم لها بعض الهدايا الرمزية : جوارب ، اسوارة ، رداء . أما الاسوارة فقد سلبها اياها جاني ذات مرة ، فصر جويل ، فهي بحاجة الى من يحسها .

بكت ذات ليلة ، لأنها تشاجرت مع ييل ، الذي ألح على حملها معه ، فصرخت في وجهه أن يذهب ويتركها بحالها ، طالما سيرميها في الشارع بعد عدة أشهر ، فأدركت في تلك الليلة أنها تحبه ، ولهذا السبب بالذات لا تريد الذهاب معه كونها امرأة من ذلك النوع .

طاقة القرنفل الاخيرة ، تلك التي لا تزال في الايص هو الذي أتاها بها منذ أربعة أيام خلت ، ولهذا السبب لا ترميها حتى ولو صارت قمامة ، والصورة طلبتها هي منه ، ووضعتها ضمن اطار فضي ، بحيث يتسنى لها التمتع ببعض الشعور أنه دائما معها هنا .

في مساء اليوم التالي لم يأت ييل ، ولا حتى في مساء اليوم الذي بعده ، مع أنها هرعت البارحة الى بريد المحطة لتودع الرسالة . هكذا يحدث لها باستمرار ، فكرت ، حينما تكون بحاجة الى شخص ما ، فانهم يختفون جميعا . لكنها لجزء غير يسير من وقت اليوم لم تتذكر أنها بانتظار ييل ، ولا حتى فكرة عدم امكانها في الاحتفاظ بالطفلة الى الابد . كان عليها أن

تنهض لتصطحب الطفلة خارج البيت للنزهة ، اذ لا يمكن لها أن تبقىها قعيدة البيت طيلة اليوم . في الساعة الثامنة كانت خارج البيت باتجاه الحدائق . مضت ساعة من الوقت لم تلتق فيها بأحد . ارتدت القستان الازرق الذي كانت ترتديه عندما تخرج مع بيل ، ومسحت عن وجهه المساحيق الا قليلا من الاحمر على شفثيها ، وطيلة الفترة التي أمضتها في الحديقة لم تدخن أية سيجارة . والطفلة بثوبها الاخضر الفستقي تسير الى جانبها ممسكة بيدها . داخل الحديقة تفرجتا على الحيوانات في جناحهم . والنادل العجوز في دكان بيع الحليب ، حيث كاتتا هما الزبوتين الوحيدتين ، ربما كان عجز الشيوخوخة حائلا بينه وبين أن يدرك أي نوع من النساء هي ، قال : « ما أجمل طفلك يا سيدتي » ثم حكى لها أن عنده هو أيضا خفيذة في فيرشيلي ، مسها في وصف كامل تصرفاتها ، وبين الحين والآخر كان يناديها : يا سيدة ، يا سيدة ، فيما هي تحاول اخفاء أصبح يدها الخالية من الخاتم تحت المحفظة كي لا يلاحظ شيئا .

بعد هذا كله ، ابتاعت في طريق عودتها مستلزمات الطعام . لم يعلمها أحد ، الا أنها تجيد الطهي . كانت تحضر لنفسها شريحة اللحم ، أو طبق البيضتين ، أما الآن لوجود الطفلة ، فهي تعد أطباقا من الحساء الشهي وتطهو الخضروات ، وتمضي الساعات تنفن في تقطيع لحم العجل قطعاً صغيرة لتعد ذاك الطبق المحبب الى ناتاليا .

في حوالي الساعة الحادية عشر ليلا ، كانت لا تزال تحص بنشوة كبرى من السعادة . اذ أن التفكير في عدم امكانها الخروج من البيت لتعرض نفسها

على زاوية الشارع القريب من الساحة ، والنوم وحدها وسماع ألقاس الطفلة النائمة على الاريقة ، قد أعطاها احساسا بالراحة ، مثلما كان شأن يوم الاحد عندما كانت في الدير .

مساء البارحة ، نادتها جيبي قائلة : « ما بك ، هل أنت مريضة » . فأرتها الطفلة ويئت لها أن ليس بإمكانها فعل أي شيء . كانت تود أن تصطحبها هي الى قسم الشرطة ، لكنها لا تذهب الى القسم خشية من أن تعود من جديد قصة جاني الذي ساهم في سرقة البنك ، حيث كانت على علم بذلك .

قالت جيبي وهي تهز ردفها : « أنا ، والى قسم الشرطة » ، اجازة اقامتي انتهى وقتها منذ شهر واحد ، وإن اقتبها الى ذلك أعادوني فورا الى بولونيا » .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

للأسف ، زوجها بولوني الجنسية ، ومنذ سنتين وهو يحاول الحصول على الجنسية الايطالية دون جدوى : « حاولي التخلص من هذه الرضيعة في أسرع وقت ممكن ، والا ستفوصين في مآزق جمة ربما كانت أكبر مما ترغبن » .

أجل ، تعرف ذلك ، لكنها الآن في هذه الليلة تتمدد على فراشها ، وعلى أرض الغرفة توجد العديد من المجالات المصورة التي تقلبها بخمول ، دقت الساعة الثانية ثم الثالثة ، دون أن تشعر بها . لم تتذكر أثناء النهار أن تشتري زجاجة البيرنود ، وفي المساء لم تخرج من البيت لتشتري كي لا تترك الطفلة وحدها . لكن الفواكه موجودة باستمرار في البيت حاليا ، فتغير طعم فمها المحروق

من دخان السجائر باجاسة ، أو بعنقود عنب . كانت الطفلة تتقلب ذات اليمين وذات الشمال أثناء نومها لهذا كانت نوابض الاريكة تن قليلا ، فتتوقف عن التفرج على صور المجلات وتنتظر الى الجسد الصغير الممدد ، اذ تبدو كهرة تفتح احدى عينيها على أقل حركة تصدرها الهرة الرضيعة الراقدة على بطنها .

لم يأت بيل حتى بانقضاء الليلة السادسة ، وهي لا تستطيع أن تعرف فيما اذا كانت في حالة شوق ، أم هي في حالة خوف مما قديحدث لها من جراء احتفاظها بالطفلة ، أم هي بالاحرى مسرورة لعدم مجيئه حتى لا يأخذها منها . ربما كانت في حالة شوق أكثر منها في حالة سرور ، لأنها عدت النقود التي في محفظتها ، اذا بها تكاد تفلس . بالنسبة لها لم تكن النقود لتعني أي شيء ، تنفقها دون حساب ، وتعطي منها قسما الى جاني ، وطالما أن لديها السجائر والبيرنود فلا شيئا آخر يشغل بالها . لكن لأول مرة تشعر بحاجة ماسة ومقوضة للنقود ، على الأقل من أجل الاستمرار على العيش بهذا الشكل لعدة أيام أخرى : لتسرح للطفلة شعرها عند الصباح الباكر ، لاصطحابها الى التنزه في الحدائق ، لتقدم لها كأس الحليب بالقهوة مع قطعة الخبز المحلى ، ولتشتري كل هذه الفواكة حتى تبقى بخير وفوق كل ذلك ، لتبقى مساء في البيت معها ، تستمعان الى بعض الاسطوانات قبل الذهاب الى الفراش ، أو تشرح لها بعض القصص المنشورة في المجلات ، كقصصة الاميرة ثريا مثلا حيث تروق للطفلة مثل هذه القصص . لهذا ذهبت الى زيارة مقلمة الاظافر واستدافت منها ثلاثين ألف لير لم يكن معها غيرها . قالت

لها : « سأردها لك حالما أعود للعمل » ، فقالت لها مقلمة الاظافر السراء النحلية التي تروق كثيرا للرجال من ذوي سن معينة : « لا يمكنك الاحتفاظ بها ، ستورطين في المشاكل » لكنها قالت لها ذلك بلهجة لطيفة وعذبة ، ربما لأنها كانت تفهمها .

هي أيضا تعرف أنه لا يمكنها الاحتفاظ بها ، لكنها مع هذا كله فهي تعيش حياتها يوما بيوم ، كما عاشتها من قبل ، وتظاهر بانتظار بيل أن يأتي فيأخذ الطفلة الى قسم الشرطة ، لكنها كانت تأمل من أعماقها ألا يصل أبدا ولا حتى في يوم الخامس عشر ، وإنما على الأقل في يوم السادس والعشرين كي يتسنى لها البقاء مع الطفلة وقتا أطول . وتمضي الايام سريعا بصحبة الطفلة ، كان يبدو أن لا حيلة مع الايام بهذه الغرفة المظلمة النتنة الرائحة ، كان يحل الليل دون أن تشعر به . أما الآن فهي لا تكاد تتذكر أنها منذ أسبوع فقط ، وفي حوالي الحادية عشر ليلا ، كانت تتوجه الى ما بعد الساحة حيث هناك تنتظرها جيبي كالعادة ، وحتى الساعة الثالثة صباحا تتمشى معها جيئة وذهابا وهما تدخان السجائر .

يبلغ الثلاثين ألف لير اشترت ثوبا آخر لناناليا ، توشيه زهور صغيرة ، صغيرة ، ناعمة ، ناعمة ، ذات لون ليكي ، على أرضية بيضاء . بعد أن البستها إياه أدركت أن الطفلة خلال هذه الايام القليلة قد فقدت كلية ملامح الصبا والشيخوخة ، وعادت اليها عيناها الأكثر طقولة ، والاكثر ثقة كما كانت بين الحين والآخر ترتكب بعض الحماقات مثلما يفعل باقي الاطفال . حين

لاحظت هذا لم تستطع المقاومة ، فنزلت الى الدكان وأشرت زجاجة بيرنود ، فلو أنها لم تفعل كذلك ، لبكت ، انما هكذا ضحكت طوال الليل مع الطفلة ولعبت معها لعبة قذف الوسادة . كانت هاتيك الليلة ، الليلة التاسعة .

في صباح اليوم التالي ، وبينما كانت تسخن مقلاة الماء على الغاز لتغسل الطفلة ، قرع الباب وصوت يقول : « شرطة » . عندئذ أطلقت الغاز وظهرت من النافذة وفي داخلها رغبة مشوشة خرقاء في الهروب منها .

« لحظة واحدة » أجابت . وضعت عليها الرداء المزهر كالعادة ، لأنها أدركت أن ثوب التايلور لم يعد يفيدھا بشيء ، ثم فتحت الباب .

شرطيان أثنان تعرفھا جيدا من قسم الحي . شابان يقظان وصارمان . الطفلة مستيقظة ، لكنها لا تزال متمددة على أريكتھا ، تمسك بيدها قطعة خبز محشية طازجة ، تأكلھا على لقيمات صغيرة بانتظار الحمام .

قال أحدهما : « لا تفتعلي المشاكل يالوكريتسيا » . دخلا البيت والعمرة على رأسيهما : « ألبسيها ثيابها وتعالى معنا » .

جلست على المقعد بدلا من أن تنصاع للامر . ظهرت الى الطفلة فرأت في عينيها ملامح الذعر والمرارة وعدم الثقة . تمسك بيدها قطعة الخبز دون أن تأكل منها . ظهرت الى الشرطي الأكثر نحافة ، وهو الذي ذهب معه الى الفراش بعض المرات لترضيته ، وقالت : « أتركھا عندي يوما آخر » بالرغم من أنها تعرف حق المعرفة أن لاجدوى من الطلب .

جلس الشرطي النحيف على السرير ، مللم من أرض الغرفة مجلة مصورة
وتصفحها : « صديقك جاني هو الذي جاء الى رئيس القسم ليخبر عنك ،
لقد مر حتى الآن أسبوع كامل وأنا عالم بوجود الطفلة عندك ، كما أنني
شاهدتك ذات يوم معها . كنت أتجاهل وجودها عندك طالما لم يسأل عنها
أحد ، وهي عندك بخير أكثر مما لو كانت في ملجأ اللقطاء ، لكنني الآن لا
أستطيع التصرف بتاتا ، فقد عاد رئيس القسم ويقتضي علي أخذها منك »
ثم عاد الشرطي برأس منكس الى تصفح المجلة .

تطلعت فيه وهي تفكر بطيبة قلبه التي لم تدرکہا أبدا ، ثم قالت له :
« شكرا » . نهضت وذهبت لتجلس على الاركة بجانب الطفلة . لم تجرؤ
على لمسها ، فلو أنها مسحت بيدها على تلك الذراعين الطريتين من الحرير
الحي ، أو على ذاك الوجه الناعم اللدن ، لاشجرت بالصراخ ألما . لكنها
همست : « لا تجزعي يا فاتاليا » . لم تبس الطفلة بكلمة واحدة ، لكن
عندما بدأت تلبسها ثيابها بكت بصمت ، وامتلأت جبهتها بالتجاعيد وشحنت
قفراتها بالحزن ، دون ابداء اية ممانعة . لم تكن تنوح ، فقد كانت تواصل
البكاء حتى عندما أمسكتها بيدها وخرجوا . بكت بصمت طوال الطريق
حتى القسم ، تتبعها بخطوات قصيرة والشرطيان خلفهما .

تعلقت بها ، بتنورتها ذات الازهار البرتقالية على أرضية سواده ، ملقية
برأسها في حضنها حين مد شرطي في القسم لها يده لاقتيادها ، وشدت عليها
يأس ، دون أن تنطق بكلمة واحدة .

مسحت يدها على رأس الطفلة ، وكذبت عليها بالرغم من معرفتها بأن الطفلة لن تصدقها ، فقد كانت كبيرة جدا في السن الاعتقادي الحياة ، قائلة : « اذهبي ياناتاليا ، سأعود لاخذك بعد أيام قليلة ، وسنفتش معا عن البابا » . انفكت منها بتؤدة وبصعوبة ، كانت لديها رغبة جامحة في كأس من «البيرونود» لسانها أصبح كخشبة يابسة داخل فم ملتهب . ياالله ، ماأشد حاجتها الى البيرونود . سلمتها الى الشرطي قائلة : « اذهبي معا ياناتاليا ، لاتخافي » . لم تنظر حتى الى الشرطي الذي يتعد بها .

لم يبقوها في القسم وقتا طويلا . ضرب الشرطي النحيل على الآلة الكتابة بعض الكلمات ، وجعلها توقع على الورقة ، ثم قبل أن تخرج شد على ذراعها وقال لها بلهجة عذبة قاسية : « لاتأسي ، سيمكنك الذهاب لزيارتها في الملجأ » .

خرجت من القسم باتجاه البيت كان ثمة نصف زجاجة من البيرونود . تمددت على الفراش واحتسته رويدا رويدا ، فرغت الزجاجة وهي لاتزال عطشى ، لكن غلبها النعاس . استيقظت في حوالي الساعة العاشرة ليلا . أحست بالثقل . رأت على الاريغة الشرف والمخدة المحضرين للطفلة . هزت رأسها بقوة . في المطبخ ، لاتزال المقلاة على الغاز ، التي كانت ستحمم الطفلة بياهاها ، والصحن مليء بالاجاص والعنب . هزت رأسها بقوة . عادت لتتمدد على الفراش التقطت من على الارض مجلة ، وفجأة تذكرت أنه بإمكانها منذ الليلة العودة الى مكانها بالقرب من الساحة لتسكع مع جيجي . تقريبا لم يبق من النقود شيئا ، وعليها أن ترد الثلاثين ألف لير الى مقلمة الاظافر ،

فقد لعت بالدمية مافيه الكفاية : تسع ليال من العطلة نهضت . وأعدت نفسها ، قبل الساعة الحادية عشر بقليل وصلت الى الشارع المعتاد والتقت جيغي التي كانت تتحدث مع أحد الرجال ، لكنه انصرف ، فقالت جيغي لها « ابن حلال يريد أن يمزح » ثم نظرت اليها وقالت : « أنجحت في التخلص من الرضيعة » .

أومات برأسها ايجابا . واصلت جيغي الكلام وهي تغمز هنا وهناك الرجال المارين ، ثم صمتت لدنو أحد الرجال . « أهلا بالمحامي » رحبت به جيغي . كان شابا يتأبط محفظة أعمال ، وبالرغم من انتشار البثور بكثرة على وجهه ، فقد كان يتمتع بعينين جليتين في غاية الجمال . توقف محمدا في لوكريشيا ، قائلا : « الشقراء » . **نظرت الى شعرها وبصوت خافت كأنها تتحدث مع نفسه ، قال : « تلك الشقراء » . أحسّت فجأة برعشة من البرد ، برد يجتاح كافة أطراف جسدها ، وخاصة في داخلها ، مع أنه كان شابا وسيما بسيماء شرفة طاهرة ، لكنها تخيلته داخل الغرفة حيث أمضت أياما قليلة مع الطفلة ، تصورت نفسها معه بين تلك الجدران ذاتها ، والبرد يكاد يجدها . فكرت أنها بكرت كثيرا في العودة الى العمل ، على الاقل في هذه الليلة لا ، لن أستطيع في هذه الليلة تحملا .**

بصوت غريب ، خافت ، يائس تقريبا : قالت : « زميلتي أجمل مني ، فاذهب معها » .

واصل الفتى تصويب نظراته الى شعرها وقال : « لابل أنت » ، رافعا إحدى يديه ، ودس أصابعه في شعرها حاسا في النهاية ، كما كان يشتهي كثيرا ،

العرشة اللينة في أنامله . قالت له : « أحس بالالام ، لامزاج عندي ، علي أن
ذهب فاعذرني » .

قال الفتى اللطيف المتشوق : « لكن لماذا » .

كررت : « أحس بالالام . ثم قالت لجيجي : « سأذهب الى البيت لاني
حس بالالام » . ابتعدت بسرعة ، عندها رغبة جامحة في العويل . قطعت زاوية
لشارع ودخلت المقهى ، حيث شربت على الفور كأساً من البيرنود ، ثم اشترت
سنة زجاجة ومضت الى البيت . تمددت على الفراش وبدأت تشرب .

عندما استيقظت ، كاد النهار ينتصف ، وهي تحس احساس الموت ،
رجع في الرأس ، آلام في المعدة ، رغبة في البكاء . نهضت من فراشها وحضرت
لقهوة . كادت تأتي على كل ما في الغلاية من قهوة عندما قرع الباب . كانت
حينذاك لاتزال تشعر بالآلام تنهشها . اذا كان الطارق جاني ، جاني الذي
جعلهم يأخذون الطفلة منها كي تتمكن من التسكع مع جيجي ، وتؤمن له
لنقود ، فستشوه له وجهه .

أمسكت بالزجاجة من رقبته وضربت أسفلها على حجر المغسلة ، تماما
شلمنا شاهدتهم يفعلون في الافلام ، فأصبح لديها بقايا زجاجة خطيرة مدية
لنهايات جارحة : سأقتله ، حدث بذلك نفسها وهي ذاهبة لتفتح الباب .
م تكن تعي أنها تهذي محترقة بالمشروب ، تهذي من الالام .

« من الطارق » ، قالت متلعثمة باسترخاء قبل أن تفتح الباب .
« أنا » . أجاب ييل .

فتحت الباب بتؤدة •

دخل رجل الصورة التي في داخل الاطار الموضوعة الى جانب السرير :
أشقر ، نحيل ، ذو وجه لطيف •

جلست على الارىكة ، دون أن تنتبه الى أن زجاجة الحليب لاتزال في يدها ، أخذها منها بيل ثم قال وهو بجانبها : « ماذا هناك ، ما الذي حدث » • لكنها لم ترد • عندئذ وضع يده على كفها العارية وقال لها بصوت لطيف ، حنون « كنت خارج البلد ، عدت البارحة فوجدت رسالتك » •

لم تقل شيئا البتة • انتظر بيل قليلا ، ناظرا اليها وهو مدرك ، طالما انه يعرفها تماما : أنها قد شربت ، وأسرفت في الشرب • ثم قال لها : « وأين الطفلة » • لو أنها لاتزال موجودة عندها لسلها فورا الى الشرطة • عندما سمعته ينطق بكلمة « طفلة » بدأت تبكي ، وبصقت ، تماما كما كانت تفعل الطفلة ، وأخايد طويلة وعميقة ، ارتسمت على جبينها هي أيضا • ارتمت بين أحضانها وتشبثت به : « اني سقيمة • خذني بعيدا لبعض الوقت اذا كنت لاتزال تريدني ، لوقت قصير ، ينكشح السقم عني ، لفترة وجيزة فقط » •

دغدغها بيل على صدغها ، أحس بعنقها قد تبلل بالدموع فقال لها : « ارتدي ثيابك ولنرحل فورا » • لفترة وجيزة أو لمدة طويلة ، لأحد يدري ما يخبئ له المستقبل ، فكرت ، لكنه قد يتركها تعيش معه ، طالما كان يطلب منها ذلك باستمرار • عندئذ أغمدت أظافرها في كفيه مخترقة سترته الصيفية الرقيقة : مارة بالقميص حتى الجلد كي تكتم صيحتها •

أنا المشاحبة قصّة المانيّة

• هاينرش بل • ترجمة: د. منان الحاج ابراهيم

ولد بل سنة ١٩١٧ لأب نجار ، فكان سابع ابنائه . كتب عددا من القصص والروايات والمقالات . وشارك في الحرب العالمية الثانية ، جنديا مقاتلا . وعن الحرب كتب أولى روايتيه وهما رواية (القطار في موعده) (١٩٤٩) ورواية (أين كنت يا آدم) (١٩٥١) .

وتعد روايته (البليارد في التاسعة والنصف) (١٩٥٩) خير ما ابداع من روايات ، وهو يصدر فيها عن نظرة ثاقبة لمشاعر العامة واسلوب معاشهم في المجتمع الحديث ، وبصورة خاصة في المانية الغربية . وقد ترجمت رواياته وقصصه الى بضع عشرة لغة .

وتصور الاقصوصة المترجمة ادناه حالة الجندي المائد من الحرب الى بلده ، حيث لا يجد احدا يعرفه ، ولا يجد مايقوله الا كل ما يذكره بالحرب المؤلة .

أنا الشاحبة

كان قد حل ربيع سنة ١٩٥٠ عندما عدت الى الوطن من غمار الحرب ، فلم أجد في المدينة أحدا ممن كنت أعرفه . وكان والديّ لحسن حظي قد تركا لي بعض المال ، فاستأجرت غرفة في المدينة ، كنت أستلقي فيها على الفراش ، أدخن وأنتظر ، ولا أدري ماذا كنت أنتظر . اما العمل فلم تكن لدي رغبة فيه . وكنت أعطي ربة المنزل مالا ، فكانت تتناح لي ما أحتاجا جميعا وتهيء لي طعامي . وكانت في كل مرة تأتيني بالقهوة أو الطعام السو غرقتي ، تطيل مقامها عندي أكثر مما كنت أحب . وكان ابنها قد قتل في موقع يدعى كالينوفكا . وكانت اذا دخلت الغرفة وضعت الصينية على المنضدة ثم أقبلت الى الركن المعتم حيث كان سريري ، اذ كنت اتملح عليه وأغفو وأطفيء لفافات التبغ على الجدار ، حتى كان الجدار خلف سريري ملطخ ببقع سود . وكانت ربة المنزل شاحبة نحيلة ، اذا أطلت علي في العتمة بوجهه تخيفني منها ، حتى لقد حسبت أن بها لوثة . فقد كانت عيناها واسعتين جد وبراقتين ، وكانت ما تفتأ تسألني عن ولدها وتقول «أوافق أنت أنك لا تعرفه فالمكان يدعى كالينوفكا . ألم تذهب اليه أبدا ؟ » .

ولكنني لم أكن قد سمعت أبدا بهذا المكان الذي يدعى كالينوفكا ، فكنت في كل مرة ادير وجهي نحو الجدار وأقول « لا .. اني لا أعرفه حق ولا أذكره » .

ولكن ربة المنزل لم تكن بها لوثة ، بل كانت امرأة من خيرة النساء ، فكا

يحزنني لذلك سؤالها الدائم . فقد كانت تكثر من سؤالي ، تسألني في اليوم مرات ، فإذا ذهبت اليها في المطبخ لم يكن لي بد من رؤية صورة ولدها الملونة التي كانت معلقة فوق الاركة . وكان ولدها فتى أشقر بساماً ، يرتدي في الصورة الملونة لباس الخروج لجندي من المشاة .

قالت ربة المنزل : « قد أخذت الصورة في الثكنة قبل خروجهم الى الميدان » ، كانت صورة نصفية ، وكان يعتمر فيها خوذة فولاذية ، وقد بدت خلفه واضحة صورة لخرائب قصر قد غطته نباتات معترشة من جوانبه كلها .

قالت ربة المنزل « لقد كان جايئاً في حافلة ، وكان فتى مجداً في عمله » . وكانت في كل مرة تخرج صندوق الصور الموضوع على منضدة خياطتها بين الرقاع والخيطان المشتبكة . وكان لا بد لي من أن أمسك بيدي صوراً عديدة كثيرة لمجموعات من تلاميذ المدارس ، في كل صورة منها غلام قاعد في الصف الاول ، وسطه ، ولوح من المشقق (١) بين رجليه ، عليه رقم ٦ و ٧ وأخيراً ٨ . وكانت بينها صور مراسم العشاء الرباني ، مجموعة بعضها الى بعض بشرط أحمر من المطاط ، وقد ظهر فيها غلام باسم في ثوب أسود كانه سترة السيمار (٢) ، ويحمل بيده شمعة ضخمة ، وقد وقف أمام لوح شفاف مرقوش عليه قدح من الذهب . وكانت هناك أيضاً صور أخرى تشبه في هيئة غلام قتال ، ، واقفاً أمام المخرطة قد تلطخ بالهباب وجهه ، وأمسك بيديه مبرداً .

وقالت ربة المنزل « لم يكن ذاك عملاً يصلح له ، بل كان عملاً شاقاً

عليه » • ثم انها ارتني آخر صورة له قبل أن يلتحق بالجيس ، وقد ظهر فيها في لباس جباة الحافلات ، واقفا قرب عربة الخط التاسع عند موقف نهاية الخط ، حيث كانت تنعطف السكة • وتعرفت في الصورة على جوسق (٣) الاشربة المرطبة الذي كنت كثيراً ما أبتاع عنده اللقافات ، قبل أن تكون هناك حرب • وتعرفت في الصورة كذلك على أشجار الحور التي لا تزال الى اليوم قائمة في مكانها • ورأيت الدارة ذات الليوث المذهبة على بابها ، وقد زالت معالمها اليوم • وذكرت عند ذلك تلك الفتاة التي تفكرت فيها كثيراً أيام الحرب • كانت فتاة جميلة شاحبة حوصاء العينين ، وكانت تركب الحافلة دائماً من موقف نهاية الخط التاسع •

وكنت في كل مرة أطيل النظر في تلك الصورة التي كان يظهر فيها ابن ربة النزل عند نهاية الخط التاسع ، وكنت أشفكر في أمور كثيرة ، فأفكر في الفتاة ومصنع الصابون الذي كنت أعمل فيه آنذاك ، وكنت أسمع صرير القطار ، وأرى شراب الليمون الاحمر الذي كنت أشربه أحياناً في الصيف عند الجوسق • وأرى لوحات الاعلان الخضراء عن لقافات التبغ ، ثم أشفكر في الفتاة مرة أخرى •

قالت ربة النزل « لعلك كنت تعرفه اذن ؟ » •

وهززت رأسي نافيا ، ثم أعدت الصورة الى مكانها في الصندوق • وكانت لا تزال صورة لامعة ، تبدو وكأنها جديدة رغم مضي ثماني سنوات عليها •

قلت « لا .. لا .. لم أكن والله أعرفه ، ولا كنت أعرف كالينوفكا » .
كان لابد من أن أذهب إليها في المطبخ مرارا ، كما كانت تأتيني في غرفتي ،
فكنت أفكر طوال النهار في ذلك الامر الذي كنت أود لو نسيته ، أمر
الحرب . وكنت أنقض رماد لفافاتي خلف السرير ، وأطقي أعقابها على
الجدار .

وكثيراً ما كنت أسمع في المساء وأنا مستلق هناك وقع خطوات فتاة
في الغرفة المجاورة ، أو أسمع اليوغسلافي الذي كان يقطن في الغرفة المجاورة
للمطبخ وهو يبحث عن زر الضوء شاتماً لاعتنا قبل أن يدخل غرفته .

وكان قد مضى عليّ في ذلك النزل ثلاثة أسابيع ، وكنت خلالها قد
أمسكت بيدي صورة كارل نحواً من خمسين مرة ، عندما أدركت لأول مرة
ان عربة الحافلة التي كان كارل يقف أمامها باسمها جاملاً حافظة تقوده لم
تكن خالية كما كنت أحسب . وللمرة الاولى أخذت أمعن النظر في الصورة
في انتباه ، ورأيت عند ذاك فتاة بسامة داخل العربة قد التقطت صورتها
هناك . وكانت تلك الفتاة هي الحسناء التي طالما تفكرت فيها أثناء الحرب .
وجاءت ربة النزل نحوي ، وظهرت متفحصة في وجهي ثم قالت « فقد كنت
تعرفه اذن ، أليس كذلك ؟ » . ثم انها جاءتني من الخلف ، وأخذت تنظر
في الصورة من فوق ظهري ، ومن ميدعتها (٤) المشمّرة تصاعدت الى اشي
رائحة البسلي الخضراء الطازجة (٥) .

قلت في هدوء « لا ، ولكنني عرفت الفتاة » .

قالت « الفتاة ؟ انها كانت خِطْبَه • ولعله من الخير انه لم يرها من

بعد » •

فسألتها « ولم ذاك ؟ » •

ولكنها لم تجبني ، وانما تركتني وقعدت على كرسيها قرب النافذة • ثم أخذت تفرط حبات البسلى ، ثم قالت دون أن تنظر الي « هل كنت تعرف الفتاة ؟ » •

واستمسكت بالصورة ثم قلرت الى ربة النزل وحدثتها عن مصنع الصابون ، وعن موقف الحافلة في نهاية الخط التاسع ، وعن الفتاة الحسنة التي كانت تركب الحافلة دائما هناك •
« وماذ بعد ؟ » •

قلت « لا شيء » • ثم انها اسقطت حبات البسلى في المصفاة ، وفتحت صنبور الماء • ولم يكن يبدو لي منها سوى ظهرها الضيق •

قالت « عندما تراها من جديد فسوف تعرف لماذا كان من الخير له انه لم يرها من بعد » •

قلت « أراها من جديد ؟ » •

ونشفت يديها بميدعتها ثم اقتربت مني وأخذت الصورة محاذرة من يدي ، وقد ضاق وجهها حتى بدا أضيّق مما كان ، ثم تجاوزتني بنظرها ، ولكنها وضعت يدها على ذراعي اليسرى في سكون ثم قالت « انها تنزل في

الغرفة المجاورة لغرفك . نعم أنا تنزل هناك. ونحن ندعوها دائما أنا الشاحبه لأن لها وجهاً أبيض شديد البياض .. أفحماً انك لم ترها بعد ؟ » .

قلت « لا ، لم أرها بعد ، وانما سمعتها تتحرك بضع مرات ، فما شأنها إذن ؟ » ، « لست أحب الحديث في ذلك ، ولكنه يستحسن أن تعرف ، فان وجهها قد تشوه تماماً وغطته الندوب ، فقد قذف بها الانفجار في إحدى الواجهات ، حتى إنك لن تستطيع أن تعرفها الان » .

وقد انتظرت تلك الليلة طويلاً حتى سمعت وقع خطوات في الردهة ، ولكن ظني خاب في المرة الاولى ، فقد كانت تلك خطوات اليوغسلاقي الطويل الذي حذجني بطرفه في دهشة وأنا أندفع نحوه بفتة ، فقلت له في ارتباك : مساء سعيداً ، ثم عدت الى غرفتي .
<http://Archivebeta.SS>

وقد حاولت أن أتخيل وجهها الذي تغطيه الندوب ولكن دون جدوى . فقد كنت اذا رأيته رأيت وجهاً جميلاً على ما فيه من ندوب . وتفكرت في مصنع الصابون ، وفي والدي ، وفي فتاة أخرى كنت أخرج معها في بعض الاحيان ، وكان أسمها إليزبت ، وان كانت تدعني ادعوها (مِتس) . وكنت اذا قبلتها ضحكت وغلبنى الخجل . وكنت أرسل اليها بطاقات من ميدان الحرب ، وكانت ترسل الى رزماً صغيرة من الكعك البيتي ، فكان لا يصلني هذا الكعك الا مهشماً ، كما كانت ترسل الي لفافات وصحفاً . وفي احدى

رسائلها كتبت الي تقول « سوف تنتصرون ، وسوف أفخر بانك كنت معهم » .

حقاً ! لقد كنت فخوراً جداً بانني كنت معهم ! وعندما حصلت على اجازة فاني لم أكتب لها عنها ، بل خرجت مع ابنة بائع لفافات كان يسكن في دارنا، فكنت أعطي ابنة بائع اللفافات صابوناً كنت أحصل عليه من الشركة، وكانت تعطيني لفافات ، وكنا نخرج معاً الى دور السينما والمراقص . وذات مرة عندما كان أبوها خارج البيت ، أخذتني معها الى غرفتها فدفعتها في الظلام على الاريقة ، وما كدت أهم بان أنحني عليها ، حتى أدارت زر الكهرباء ، وظهرت الي باسمه في مكر . وفي الضوء الباهر رأيت صورة لهتلر معلقة على الجدار ، وكانت صورة ملونة قد غلقت على ورق الجدران الوردي ، وحولها قد أحاطت بها من كل جانب ، على شكل قلب ، صور رجال قساة الوجوه ، على شكل بطاقات مثبتة بمسامير كبس ، وكانوا رجالاً قد أعتمروا خوذات فولاذية ، وقد قصت صورهم جميعاً من الصحف المصورة . فتركت الفتاة مستلقية على الاريقة ، وأشعلت لفافة تبغ ثم خرجت . وقد أرسلت لي الفتاتان فيما بعد بطاقات تنكران فيها علي سلوكي ، ولكنني لم أجبهما على بطاقتهما .

وقد أنتظرت أنا طويلاً ذلك المساء ، ودخنت لفافات كثيرة في الظلام ، وتفكرت في أمور كثيرة ، ولكنني عندما سمعت أخيراً صوت المفتاح يدخل في القفل ، تملكني الرعب حتى لم أستطع أن أقوم وأرى وجهها ، وانما

سمعتها تفتح باب غرفتها ، ثم سمعتها وهي تدندن في عدوها ورواحها داخل الغرفة . ثم اني وقتت بعد ذلك وأتظرت في الردهة . وبغته ساد الهدوء غرفتها ، ولم تعد تغدو وتروح ، ولم تعد تغني . وخشيت أن أطرق عليها الباب . ومن بعيد سمعت صوت اليوغسلافي الطويل وهو يدندن في غرفته جيئة وذهابا ، وسمعت صوت الماء يغلي في مطبخ ربة المنزل .

أما غرفة أنا فقد شملها الهدوء ، ورأيت من فرجة في باب غرفتي البقع السوداء على الجدار ، حيث كنت أطفئ أعقاب اللفات . وأخيراً أستلقى اليوغسلافي الطويل على فراشه فلم أعد أسمع وقع خطواته ، وانما سمعت صوته وهو يدندن . وكذلك لم يعد الماء يغلي في مطبخ ربة المنزل ، وانما سمعت صوت رنين الفلزاذ غطت ربة المنزل ركوة القهوة . وكان الهدوء لا يزال يشمل غرفة أنا . وعلى حين بغته داهمني شعور بانها سوف تخبرني من بعد بما كانت تسكر به آنذاك وأنا واقف على بابها . وقد أخبرتني بذلك كله فيما بعد .

وحدقت في صورة كانت معلنة قرب الباب ، تصور بحيرة فضية تتلألأ ، قد خرجت منها حورية ذات شعر أشقر مبتل ، وهي تبسم لفتى فلاح قد اختبأ وراء شجيرات خضراء ناضرة . وكان ثديها الأيسر شبه ظاهر في الصورة ، وعنقها أجيد أبيض شديد البياض .

ولست أدري متى حدث ذلك ، ولكنني وضعت من بعيد يدي على مقبض الباب وقبل أن أضغط عليه وأفتح الباب متباطئاً ، عرفت أن أنا ستكون من نصيبي . كان وجهها قد

ملأته ندوب صغيرة لامعة مزرقة • ومن غرفتها أنبعث رائحة الفطر الذي كان يطهى في المقلاة • ثم فتحت الباب على مصراعيه ، ووضعت يدي على كف آنا ، وحاولت أن أبتسم •

□ اشارات □

- (١) لَوَح من المُشَقَّق وهو الأردواز •
- (٢) السِّمَار أو مجلس السمر ويكون ليلاً ، أو هو (السَّهْرَة) •
- (٣) وهو الكشك Bude .
- (٤) وهي المربول
- (٥) وهي البازلاء •



ARCHIVE
بصغر قريباً

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

دفتر النشر

سليمان العيسى

كتابات

الرأس ذو الريشة قصة أمريكية

• ناتانيل هوثورن • ترجمة: السيدة عصام صبري

تعريف بالمؤلف

ن • هوثورن كاتب أمريكي عاش بين ١٨٠٤ و ١٨٦٤ تبدو في حياته مرحلتان اتاحتا له أن ينعم النظر في الوجود الانساني وخلعتا على قصصه مسحة نفسية خيالية ممتازة .

المرحلة الأولى بين التاسعة والثانية عشرة من عمره حين أصيب أصابة بالغة في قدمه حجّزته عن الذهاب إلى المدرسة وعن لقاء أترابه فعاش بجانب أمه واختيه ، إذ كان والده وهو بحار قد توفي بالحمى الصفراء بعيدا من بلده، أنصرف في هذه المرحلة إلى القراءة والحلم والتأمل .
المرحلة الثانية عزلة فرضها هو على نفسه بعد أن تخرج في أحد المعاهد في فرسويك عام ١٨٢٥ دامت عدة سنوات حتى مطلع الثلاثينات من عمره قضى معظمها في بيت الأسرة العتيق وفي ذلك الجو الغريب الهادئ التحالم نفسه فعكف يقرأ ويحلم ويكتب . ثم ها هو ذا ينشر قصصه باسماء مستعارة .

كان هوثورن متواضعا ولكنه ذو خيال عارم جعله شبيها بالبومة في طيرانها العنيف . الا انه بقي طبيعيا دون اغراب . كان يتلمس جوانب عميقة من النفس الانسانية دون تطرف ولا اسراف على الرغم من جموح خياله ذاك . كان سويا في معاملته محبا للاحسان متمسكا بالقيم الخلقية، ولكنه كان متشائما بعض الشيء . من اقواله : « السعادة في هذا العالم ان جاءت فهي تجيء مصادفة » .

نادت الأم رغباي : « شعلة لعلوني يادىكون ! »

كان الغليون في فم المرأة عندما قالت هذه الكلمات . وضعت بعد أن عبأته بالتبغ ولم تنحن لتشعله من الموقد الذي لم يبد أنه أشعل هذا الصباح لقد علت الغليون ناراً حمراء بمجرد أن أطلقت الأمر وانسابت سحابة دخان من شفتيها .

جلبت الجذوة يد خفية لا أعرف سرها .

قالت الأم رغباي وهي تومئ برأسها : « حسناً شكراً يا دىكون ! والآن لكي أجهز (الفزاعة)^(١) كن معي دون أن أتأديك ، اذا احتجت اليك » .

لقد نهضت المرأة الطيبة مبكرة حين بدأت الشمس تشرق وذلك لكي تشرع في صنع الفزاعة التي تنوي أن تضعها في وسط حقلها المزروع بالحبوب . حدث هذا في آخر أسبوع من أيار ، وكانت الغربان والطيور السود قد اكتشفت منذ وقت قريب الورقة الخضراء الصغيرة من نبات الحب الهندي الذي بدأ بالظهور على سطح الأرض . لذلك قررت أن تصنع فزاعة تشبه الشخص الحقيقي وأن تنهي من رأسه الى أخمص قدميه بسرعة حتى ينجز واجبه في الحراسة هذا الصباح بالذات . لقد كانت الأم رغباي كما يعلم الجميع من أحذق وأمهر الساحرات في نيو إنجلاند وهي قادرة — بجهد ضئيل — على صنع فزاعة بشعة تخيف أي مخلوق ولو كان وزيراً .

(١) الفزاعة ما ينصب في الحقول لتخويف الطيور .

ولكن لما كانت قد استيقظت بمزاج هادئ على غير عاداتها وهي الى ذلك تلذذ بغليونها فانها قررت بسبب ذلك أن تصنع شيئاً رائعاً وجميلاً لا شيئاً بشعاً مشؤوماً . قالت في نفسها : لا أريد أن أضع على عتبة بيتي (بعباً) ولو أنني أستطيع أن أصنع فزاعة بشعة ان شئت . ولكنني سأضع واحدة عادية لا غير من عادتي . والى جانب ذلك لا حاجة تدعو لأن أخيف الاطفال الصغار ولو كنت ساحرة .

وقرّ في ذهنها أن تمثل الفزاعة رجلاً نبيلاً رائعاً بقدر ما تسمح المواد التي بين أيديها . وربما من المناسب ذكر العناصر التي ستكون ذلك التمثال .

أهم جميع الأشياء بالتأكيد عصا مقشّة جعلتها الأم ريفاي مطيتها في منتصف الليل عدة مرات . وتفيد الآن في صنع العمود الفقري للفزاعة . أما اليدان والقدمان فمن العصي والمقابض .

وأما الجسم فكيس محشو بالقش . وأما الرأس فهو قرعة جافة قديمة حفرت الأم ريفاي فيها حفرتين لتمثلا العينين ، وفتحة ثالثة تمثل الفم ، وتركت كتلة ضاربة الى الزرقة في الوسط لتكون الأنف . والحق كان وجهاً محترماً .

قالت الأم ريفاي : « رأيت وجوهاً أسوأ منه على أكتاف آدميين ، وكثير من الرجال النبلاء رؤوسهم يقطين مثل فزاعتي » . ولكن الملابس في هذه الحالة يجب أن تكون من صنع خياط ماهر لذلك أنزلت المرأة الطيبة

المسنة معطفاً قديماً أرجواني اللون من صنع لندن كان في سابق العهد معطفاً أنيقاً مطرزاً وأصبح الآن عتيقاً ممزقاً ، على صدره الأيسر شقٌ مدور كما لو أن شيئاً مزقه وهو خارج منه . وكان تحت المعطف بنطال أحمر ارتداه ذات مرة حاكم فرنسي في (لوزبورغ) وركبته انحنى إلى الأرض أمام الملك لويس . وألبست الأم ريغباي فزاعتها زوجاً من الجوارب الفضية ألصقتها على الساقين . وأخيراً وضعت على رأس القرعة شعراً مستعاراً كان لزوجها المرحوم . ووضعت فوق الشعر قبعة مغبرة ذات ثلاث زوايا ، ولها ريشة طويلة .

حينئذٍ أسندت المرأة العجوز اللعبة في زاوية منزلها وأخذت تضحك من مشاهدة وجهها الاصفر بأفقه المرفوع نحو الهواء . كان في تلك اللعبة ظفرة رضى بالنفس وكانت تقول « تعالوا أظفروا إلي » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت الأم ريغباي وهي فخورة بعملها : « إنك حقاً لجدير بالنظر . لقد صنعت لعباً كثيرة منذ أصبحت ساحرة ولكن أظن هذه أحسنها جميعاً . إنها أجود من أن تكون مجرد فزاعة . سأملأ غليونني تبغاً وأحملها إلى الحقل » .

وأخذت تحشو غليونها وهي ماتني ترمق بأومضة الوجه المسند في الزاوية .

أقول الحق لقد كان في شكل اللعبة ووجهها شيءٌ إنساني رائع . وكلما أطالت الأم ريغباي النظر ازدادت سروراً بها . ونادت بحدة : « ديكون

شعلة أخرى لجليوني!» وما كادت تنهي كلامها بل قبل ذلك لمعت الشعلة الحمراء في رأس الغليون .

سحبت نفساً وتفتت الدخان مع أشعة الشمس الصباحية التي أخذت تسرب من نافذة بيتها التي عشت فيها الغبار وأخذت تفكر وهي مثبتة نظرها في الفزاعة :

« ذاك الوجه لطيف جداً . انه قطعة فنية . حرام أن يقف طوال الصيف في الحقل ليزجر الغربان والطيور السود . انه جدير بما هو أفضل . لقد رقصت في حياتي مع من هم دونه شأناً في حفلات الغابة السحرية . لم لا أعطيه فرصة في هذا العالم الذي يعج بأمثاله من رجال القش والاصدقاء الفارغين ؟ » سحبت ثلاثة أو أربعة أنفاس من الغليون وابتسمت .

« سيقابل الكثيرين من أخوة له مشابهي في كل زاوية وفي كل سبيل . لا أعني اني سأعكف اليوم على السحر فوق شعل جليوني . ولكنني ساحرة . وعلى الأرجح سأبقى كذلك ، ولا فائدة من التهرب . سأصنع رجلاً من فزاعتي فقط للعبث والتسلية » . وأثناء قولها هذا رفعت غليونها من فيها ووضعتها في فم الفزاعة وقالت : « دخن يا عزيزي دخن يا صديقي الرائع . حياتك تتوقف على ذلك » وما ان أمرته بذلك حتى أخذ الدخان يخرج من فيه كان الدخان قليلاً ثم قوي شيئاً فشيئاً . وظلت الأم ريفباي تردد : « دخن يا عزيزي دخن يا جميلي » وهي تبسم ابتسامة الرضى . « انه نفس الحياة لك ثق بما أقول » لاغرو أن الغليون كان مسحوراً . أخذت الساحرة تفرقع يديها

النحيلتين • وتبتسم لبراعتها فان السحر كان يسير سيراً حسناً لأن الوجه الأصفر الجاف الذي لم يكن وجهاً على الاطلاق صارت تتلامح فيه لمحات انسانية تجتازه من الامام والخلف وأحياناً تختفي تماماً ثم تظهر واضحة حين يمتص نفساً من الغليون • واستمرت العجوز تهتف : « دخّن جيداً يا غلامي الجميل ! هيا ! نفساً آخر أقوى ! دخن من أجل الحياة ! أقول لك دخن من صميم قلبك إن كان لك قلب ، وإن كان فيه صميم ! أعد ذلك بشكل أفضل ! دخن بملء فيك كأنك تحب الغليون حباً خالصاً ! » •

ثم أشارت الساحرة الى شبح الفزاعة أن يتقدم :

« لِمَ تتردد ؟ اخطئ الى الامام ! هاهو ذا العالم أمامك » أطلعت الفزاعة الام رغبائي ومدت يدها كأنها تريد أن تمسك بها وقامت بخطوة الى الامام ، خطوة مترددة ، ثم كادت تسقط ، ماذا تتوقع الساحرة ؟ إنها ليست أكثر من فزاعة ! عود على قضيين • ولكن المرأة العجوز عجلته فخطا نحو أشعة الشمس المتألقة ووقف هناك على وشك أن يحور ركاماً فوق الأرض •

طلقت العجوز المتوحشة تشعر بالغضب وأظهرت لمحة من طبيعتها الشيطانية وصرخت بغضب :

« دخّن أيها المجنون ! دخّن ، دخّن ، دخّن ! أيها الشيء من القش والفراغ والحماقة ! ياخرقة أو خرقتين ! يارأساً من القرع ! يالاشيء ! أين يمكن أن أجد اسماً تافهاً الى الحد الذي يناسبك لأناديك به ! أقول لك دخّن ،

وتنشق حياتك مع التدخين ! وإلا أخذت الغليون من فيك وبعثت بك حيث جاءت هذه الشعلة الحمراء !

عندما هددت الفزاعة هكذا لم يعد بوسعها إلا أن تتنفس من أجل الحياة العزيزة . وبعد قليل صار المطبخ يعج بالدخان مع شعاع واحد من الشمس يصارع وحده .

كانت الفزاعة المسكينة تدخن بخوف وارتعاش . ولكن يجب الاعتراف أن جهودها أثمرت تماماً ومع كل نفس من الدخان كانت تزداد الملامح الانسانية في الوجه وصارت الملابس تبدو جديدة .

وأخيراً هزت الساحرة العجوز إصبعها في وجه الفزاعة . كانت تستعد لعمل ماهو أعظم . قالت بجدة :

« هأنث لك مظهر الرجل . ليكون لك صوتة آمرك بالكلام » جهدت الفزاعة ، وصدر بعد لأي صوت خافت مسكين يقول :

« أمي لاتكوني قاسية علي . إني أريد حقاً أن أتكلم ولكن ماذا يمكن أن أقول وأنا لاعقل لي ؟ »

هتفت الأم رغبياي بإبتسامة منفرجة :

« أنت تستطيع أن تتكلم . ألا تستطيع ؟ ماذا تقول ؟ تقول آلاف الأشياء وتقولها آلاف المرات وتبقى لست قائلاً شيئاً لا تخف أقول لك وعندما تذهب الى العالم (لأن في نيتي أن أرسلك وشيكاً اليه) لن تنقصك موهبة

الكلام . سوف تتكلم مثل الجدول الذي يسيّر الطاحون اذا شئت .
وحقي عندك من العقل مايكفي ! أجابت الفزاعة « أنا بأمرك ياأمي »

« هو ذا قول جيد يا حبيبي » أجابت الأم رغبائي . « والآن يا عزيزي
لقد تعذبت كفاية من أجلك . وإنك لجميل ومن حقي أن أهواك أكثر من أية
لعبة سحرية في العالم أنا التي صنعت أنواعاً كثيرة منها ، إذ إنك أفضلها على
الاطلاق . ولكن أصغ لما أقول :

— « نعم ياأمي اللطيفة هاأنذا أصغي إليك من كل قلبي »

— « من كل قلبك » هتفت العجوز وأرخت يديها على جانبيها وأخذت
تضحك بصوت عال . « لك طريقة جميلة في الكلام . . من كل قلبك ! لقد
وضعت يدك على الجانب الأيسر من صدرك كأن لك قلباً ! » والآن أخبرت
الأم رغبائي بمزاج رائع الفزاعة أن عليها أن تذهب لتلعب دورها في العالم
العظيم حيث لا يوجد واحد بالمثل من الرجال أحسن من هذه الفزاعة وطلبت
إليه أن يعتبر رأسه من بين أفضل الرؤوس هناك . وأعطته للفور مقداراً كبيراً
من الثروة : مالا وأراضي وقصوراً وأمثال ذلك .

« يكفيك الآن هذا لتشد رحالك الى الأرض هات قبلة منك . لقد
بذلت أقصى ما أستطيع من أجلك » .

وفوق ذلك ، وثلاثا تتعرض هذه المغامرة لأي نكوص محتمل في نجاحها
بالنسبة لهذه البداية المتواضعة في الحياة أعطته تلك المرأة الرائعة إشارة
تساعده على التعرف بها على شخصية عظيمة . هذه الشخصية هي تاجر كان

في ذروة المجتمع ويعيش في المدينة المجاورة ولم تكن الاشارة أكثر ولا أقل من مجرد كلمة واحدة همست الأم رغبائي بها في أذن الفزاعة ، وعلى هذه أن نهمسها في أذن الرجل •

قالت الساحرة : « هذا الزميل القديم سوف يهمل لك لضعفه ويرحب بك عندما تهمس له بهذه الكلمة » •

إن الأم رغبائي تعرف حق المعرفة السيد (غوكين) الوجيه • وهذا لسيد الوجيه يعرف الام رغبائي أيضا •

واذ ذاك قربت الساحرة وجهها المسن من اللعبة ضاحكة بصوت عال ببهجة من الفكرة التي قالتها وهمست :

« إن للسيد الوجيه ننتاً وإن لك مظهر مقبولا وعقلا جيدا كافياً • نعم ! أقول لك : عقلا كافياً وستجده عقلا أفضل من غيره اذا ما قارنته بعقول الناس الآخرين • لاشك في ذلك • وأبوح لك بما سيحدث ان الفتاة بولي بوكين ستكون لك !

كل ذلك والمخلوق الجديد يدخن غليونيه بلذة يستقيها منه كما يدخنه الضرورة من أجل شروط عيشه • وكان أمراً رائعاً أن يرقب المرء شبهه بالكائن لانساني في تصرفاته • كانت عيناه متجهتين نحو الساحرة ومن وقت إلى آخر كان يومئ برأسه ويهزه كما تقتضي المناسبة • ولم تنقصه الكلمات الملائمة بهذا الظرف مثل : حقاً ! في الواقع ! أرجوك خبريني ! من المحتمل ! وحق

نفسى ! على الاطلاق ! آه ! واهأ أهكذا الخ .. وكلمات أخرى مهمة من أمثال هذه .

وبينما كان يصغي ويدخن ، ويدخن ويصغي كان يزداد جمالا في مظهره . وعلى أية حال تجدر الملاحظة أنه لما كانت حياة هذه الفزاعة تتوقف على عمر الغليون فإنها لاغرو ستقضي فجأة عندما يتحول الغليون إلى رماد . وقد أدركت الساحرة هذه الصعوبة :

ـ «أمسك الغليون أيها الغالي ريشا أملؤه لك ثانية» وكان المرء يحزن إذا نظر اليه وهو يتحول من رجل نبيل إلى فزاعة بينما كانت الأم رغباني تفرغ الغليون من الرماد ثم تعبئه من علبه التبغ . فادت بصوت عال ليكون أشعل الغليون ! واشتعلت جمره الغليون ثانية . ودون أن تنتظر الفزاعة الأوامر وضعت الغليون في فمها وشرعت تدخن .

قالت الأم رغباني : « الآن يا حبيب قلبي ، في كل مايعرض لك التصق بغليونك لأن حياتك فيه وهذا ماتعرفه على الأقل حق المعرفة اذا كان ينقصك معارف أخرى .. أقول الزم غليونك دخن وانشر غيمتك وأخبر الناس إذا سئلت أن ذلك التدخين ضروري لصحتك وأنها أوامر الطبيب ! وعندما يا حبيبي يخبو غليونك اذهب وحدك إلى احدى الزوايا (قبل ذلك إملا نفسك بالدخان وناد بحدة : سيكون غليون تبغ جديدا ! ويكون شعلة لغليوني ! وضعه في فمك العذب بأسرع مايمكن وإلا تصبح عوضاً عن كونك الرجل النبيل

بالمعطف الانيق كومة من العصي والملابس الرثة والقرعة الجافة • والآن ارحل
يا كنزي وليرافكك الحظ السعيد ! » •

قال التمثال بصوت جهوري وهو يرسل سحب الدخان :

لاتخافي يا أمي سأرحل كما يفعل الرجل الشريف والرجل النبيل
هتفت العجوز وهي تضحك بعظمة : فداك تقسي ! إن قولك رائع كما يفعل
الرجل الشريف والرجل النبيل إنك تقوم بدورك بشكل كامل يا لك من فتى
حاذق إنك ستجابه المصاعب وأنت واقف على قدميك خذ هذه عصاي التي
أتوكأ عليها إنها لك » ورغم أنها كانت عصا عادية إلا أنها توهجت فجأة وصار
لها لمعان الذهب وقالت الأم ريغاي : « هذه العصا برأسها الذهبي تقودك إلى
باب الرجل الوجيه السيد غوكين • اذهب يا جميل يا عزيزي أيها الغالي يا كنزي
وإذا سألك أحد اسمك قل له اسمي ذو الريشة لأن لك ريشة فوق قبعتك » •

خرج ذو الريشة من المنزل وسار قدما نحو المدينة • ووقفت الساحرة تشيعه
عند الباب بنظرة راضية وشعاع الشمس يغمره كما لو أن عظمته الظاهرة كلها
حقيقية • ما كان أروعوه وهو يدخن غليونيه وما أعظم رشاقته مشيته رغم اليبوسة
القليلة الباقية في رجله • شيعته حتى غاب عن ناظرها وتمتت برقية سحرية
بعد أن اختفى في منعطف الطريق •

في الصباح الباكر عندما كان الشارع الرئيسي في المدينة المجاورة تدب
فيه حركة الحياة والعمل كان غريب له وجه فخور يشاهد ماشياً على الرصيف •
كان يبدو من النبلاء بملابسه الغنية ، وكان رأسه وشعره مرتبين حتى ليخشى

المرء أن تفسد القبعة نظامها وهو لا بد واضح سلاحه (الفكري) تحت القبعة !
وفي صدر معطفه تلمع نجمة وكان يحمل عصاه ذات المقبض الذهبي بشكل
هوائي يناسب الرجل النبيل في ذلك الوقت . ويسك بيده اليسرى غليوناً
من نوع غريب له فجوة جميلة مرقشة بالرسوم ، وكان يضع الغليون في فمه
كل خمس خطوات أو ست . وكما كان متوقفاً تلهف الحي بأكمله لمعرفة اسم
ذلك الغريب .

قال أحد الناس : إنه لاشك رجل نبيل عظيم ! هل رأيت النجمة على
صدره ؟

فأجابه الثاني : الحقيقة ينبغي أن يكون رجلاً نبيلاً .

وقال ثالث : لم أر في حياتي من يعادله عظمة في مظهره .

وقال مواطن آخر : في رأيي إنه نشأ في البلاط الفرنسي . اقرر اليه
كيف يمشي ! وهذه الصلابة في مشيته محترمة جداً وهتفت سيدة : « إنه
شاب جميل طويل جداً يا للوجه الدقيق النبيل والأنف الأذلف والفم الرقيق
ويلي كيف تشع نجمته ! في الواقع إنها ترسل شهباً » ..

وأجاب الغريب وهو ينحني : « وعيناك ترسلان شهباً ياسيدتي الجميلة »
إذ كان يمر في تلك اللحظة .

وقالت السيدة منبهرة : واهاً لهذا الكلام الرقيق الناعم !

بين أصوات الإعجاب هذه التي أثارها مرأى الغريب شد صوتان

بازعاج : الصوت الأول لكلب شم عقب الغريب وسارع الى باحة سيده وهو ينبج نباحاً عالياً . والصوت الثاني لطفل أخذ يبكي عندما شاهد الغريب ويتمتم كلمات مبهمه تتعلق باليقطين ..

أثناء ذلك تابع ذو الريشة طريقه وكان يبدو منصرفاً تماماً إلى غليونه لولا هزة من رأسه بين حين وآخر . وكان جمهور غنير يتبعه حتى وصل أخيراً إلى المنزل الرائع الذي يقطنه الوجه السيد (غوكين) ودخل من البوابة وصعد السلم المؤدي الى الباب وقرعه . وفي البرهة التي سبقت فتح الباب أخرج الرماد من غليونه . وسأل أحدهم : « ماذا قال الغريب بهذا الصوت الحاد ؟ » أجاب صديقه : « لأعرف ولكن الشمس تؤثر في عيني بشكل غريب إن لهذا النبيل مظهراً عجباً اذا نظرت اليه فجأة ليحفظ الله عليّ عقلي ماذا جرى لي ؟ »

قال الثاني : « العجيب أن غليونه وكان فارغاً منذ لحظة قد امتلأ واشتعل ثانية يوجد سر في هذا الغريب أية غيمة دخان ! هل أسميه عجباً ؟ عندما التفت اشتعلت نجمة في صدره . » ففتح الباب وانعطف ذو الريشة نحو الناس وقام بانحناء عميقة ثم اختفى في المنزل .

(بولي غوكين) بنت ذات وجه مستدير فاعم . شعرها مضيء وعيناها زرقاوان وخداها موردان أسيلان وهي لا تبدو ذكية جداً ولا بسيطة جداً . لمحت هذه الصبية الغرب اللامع الواقف أمام الباب فارتدت ثياباً جميلة مناسبة لتلك الزيارة .

وما إن سمعت خطوات والدها تقرب من الردهة مع خطوات ذي الريشة
بحذائه ذي الكعب العالي حتى جلست قبالتها وشرعت تغني أغنية •

نادى التاجر المسن : بولي ابنتي بولي تعالي ياطفتي •
بدت على وجه السيد غوكين عندما فتح الباب رية واضطراب • ثم قدم
لها الغريب : هذا النيل هو اللورد ذو الريشة • حمل لي ذكرى من صديقة
قديمة • قومي بواجبات الضيافة التي يستحقها يابنتي »

وبعد كلمات التعارف القليلة هذه غادر التاجر الفاضل الغرفة • ولكن
الفتاة لاحظت أن أباه مضطرب الأعصاب شاحب الوجه •

والحقيقة أن إشارة الساحرة فعلت فعلها في إثارة مخاوف الرجل لافي
شحن ارادته الطيبة • وإذا اقتربنا من الحقيقة أكثر ذكرنا أن الرجل لاحظ
الرسوم المدهونة على غليون ذي الريشة وأدرك أن هذا الغليون يقوم بالسحر •
وكان متيقناً أن هذه الرسوم تمثل حفل شياطين يرقصون ويمسك كل يده
الآخر •

كان يسر السيد غوكين أن يلقي بهذا الضيف في الطريق ولكن الخوف
كان يردعه • ذلك أن هذا الرجل المسن المحترم وعد الساحرة السيئة في مرحلة
سابقة من حياته وعدا ما ، وها هو ذا مطالب الآن أن يقدم ابنته وفاء للوعد •
يحدث أحياناً أن يكون جزء من باب الردهة مصنوعاً من الزجاج وعليه
ستائر من حرير • ولشدة اهتمام التاجر فإنه بعد أن ترك الغرفة اختبأ وراء
الستارة الحريية •

لاريب أن الغريب كان رجلا من هذا العالم ولايجوز أن يأمن الاهل في ترك ابنتهم الصبية مع رجل دون مراقبة النتائج . ان التاجر الكريم الذي خبر كل أنواع الناس كان قلقا . ولكن بولي الجميلة لم تشعر بكل هذا . طافت البنت وضيفها الشاب الرقيقان في أرجاء الغرفة وكلما طالت الزيارة ازدادت الفتاة الجميلة انبهارا حتى لقد وقعت في شباك الحب منذ ربع الساعة الأولى . تأثرت بكل ماقال ذو الريشة ومافعل . وكانت النجمة في صدره تأتلق ، والشياطين الصغيرة ترقص بهجة على غليونه .

وشيئا فشيئا أخذ ذو الريشة يهدأ ، كأنه يريد أن يتحقق حب الفتاة الكامل . وبدأت النجمة تخبو وأخذت ثيابه تبدو أقل جمالا .

رفعت الفتاة عينيها و نظرت الى رفيقها قلرة ملؤها الاعجاب ثم نظرت الى المرأة كما لو أنها تريد أن تقارن بين جمالها وجمال صديقتها . وإذا بها تصرخ صرخة وتسقط مغشيا عليها .

نظر ذو الريشة في المرأة وحينئذ عرف حقيقة نفسه قبل أن يفعل السحر نعله .

أشفقنا عليه جميعنا وهو يرخي ذراعيه معبرا عن اليأس . كانت الأم رغبائي جالسة أمام الموقد في مطبخها . وكانت قد انتهت لتوها من تحريك الرماد في غليون آخر عندما سمعت خطوات مسرعة في الطريق خطوات تشبه العصي أو العظام الجافة ودمدمت : ها ! أي خطوات هذه ! إني لأعجب أي هيكل عظمي خرج من قبره الآن ؟

واندفع التمثال برأسه الطويل من الباب • إنه ذو الريشة • غليونه ما زال مشتعلًا ، والنجمة تشع في صدره ولم تكن ملابسه أضاعت مظهرها الغني ولكن كان يبدو أن ثمة خطأ ما •

سألت الساحرة : « ماذا حدث هل طردك المجنون العجوز من بيته ؟ سأعاقبه شر عقاب حتى يقدم لك ابنته جاثية على ركبتها • أما اذا كان ذلك منها فلسوف أدمر جمالها خلال أسبوع » •

أجاب ذو الريشة المسكين : « دعيها وشأنها يا أمي ! لقد كدت أحظى بها وقبلة من شفقتها العذبة حرية بأن تقلبني انسانا حقا • ولكنني رأيت نفسي يا أمي ! رأيت نفسي أي شيء فقير فارغ أنا • لن أعيش بعد اليوم ! »
ورفع الغليون من فيه وألقاه بكل قوته نحو الجدار وفي اللحظة نفسها كان يحور فوق الأرض كومة من القش والثياب الرثة والعصي •

قالت الأم ريغبائي : « يا صديقي المسكين ! يا عزيزي المسكين ! يا ذا الريشة ! هناك الآلاف الآلاف من البله الحمقى الفارغين في العالم ليسوا أفضل منك • ومع ذلك فهم يعيشون محترمين • ولم يروا أنفسهم مطلقاً ولا يعرفون أحوالهم • ما الذي دعا مسكيني هذا أن يرى نفسه ويموت من أجل ذلك ؟ »

وكانت تعبى غليونًا جديدًا من التبغ وهي تقول ذلك وتمسكه بين أصابعها حيرى هل تضعه في فمها أم في فم ذي الريشة • وتابعت تقول :

« ياذا الريشة المسكين ! أستطيع بسهولة أن أعطيك فرصة أخرى وأرسلك
غدا مرة ثانية ولكن لا إن مشاعره كانت رقيقة جداً . كان له قلب أكبر من
أن يحتمل الحياة في عالم فارغ لا قلب له .
حسناً . سأبقيه فزاعة .

عَمَلُ الفزاعة بسيط ومفيد وسيقتنه هذا الغالي العزيز . ولو عمل
إخوانه من الناس بالجد الذي تعمل به الفزاعات لغدا العالم أفضل مما هو
عليه . أما هذا الغليون فلعلي أشد حاجة إليه منه . وضعت الغليون في فيها
وهتفت بصوتها المرتفع الحاد : سيكون شعلة للغليون !



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

قصص شعرية قصيرة جداً

شوقي بغدادي

شعر

مختارات من الشعر الألباني في كوسوفا - يوغسلافيا

• ترجمة: خليل فرحات

فرع مغمور

الشعر الألباني في يوغسلافيا

« للشاعر صبري حميدي »

ARCHIVE

المقدمة :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الشعر الألباني في يوغسلافيا ، الذي سنكشف أحد وجوهه في هذا المؤلف ، هو بالحقيقة شعر حديث جداً . البرهان واضح في ان جميع شعرائه من أقدمهم : أسعد مخولي ١٩١٦ الى أصغرهم : صبري حميدي ١٩٥٠ . كل هؤلاء لا يزالون أحياء حتى أيامنا الحاضرة ، ولا يزالون يكتبون !!

الغاية من عرض شعرنا هي ابراز أحد جوانبه ، لذا يجب اعتبار هذا المؤلف بمثابة أداة اعلامية متواضعة ، لامختارات شعرية صافية . كما تجدر الاشارة الى ان المقصود بهذا ليس الشعر الناشيء بعامل الصدفة بل هو

الفرع الشعري ذو العلاقة بالأصل العام للادب اللبناني ، المتضمن تقاليد قديمة مكتوبة منذ خمسة أجيال اذ بدى به منذ عام ١٤٦٢ أربع مائة واثنين وستين وألف •

لأنقصد هنا تقديم تحليل مسهب لهذا الشعر ، بل سنجتهد ببساطة وبأسلوب مدخل الى القراءة : ان نعرض باختصار النقاط الرئيسة التي تغذيه وتوجّهه ، والصفحات القادمة المشرقة تظهر ذلك بوضوح :

النقطة الأولى : البحث عن الهوية الأدبية ، الوطنية والفنية • وهذا البحث يستند الى أسباب أدبية وأسباب أخرى كثيرة لن نوضحها هنا •

يُبحث أولاً في هويته حيث لا يُعترف عليها ، وطرق البحث تغتورها مشاكل وتتطلب توضيحات • ومن خلال كل هذا يتلاءم الشعر بكثير من الوضوح مع فكرة العذاب والألم والتضحية ، شديداً وثيقاً الى مواضيع أخرى قديمة العهد ، ظهرت في رقصات الغناء الشعبية اللبنانية •

أليس التاريخ تكراراً مستديماً لكل قديم وله ارتباطات وثيقة بالماضي وبتاريخ وطني دائم الحيوية ، ودائم الوجود • وهذه الارتباطات تغذي وتساعد على بحث الهوية الأدبية •

كل هذا يتلاقى في صميم البحث المطلوب ، في المؤلفات كما في الأغاني الشعبية ، ويطالب بايجاد هذه الهوية الشعرية والفنية التي تكون مفخرة شعب •

غالباً ما يلعب الشعر دوراً هاماً بتقديم دليل ، وتسجيل تاريخ ، أو أنه
يُثبت شعر منظوم : الغنى الرائع الذي يتضمنه التقليد القديم الشفوي
والشعبي . ولا يغرب عن بالنا أبداً ان شعر اليوم لم يعد ليلاً ما يُطلب منه
من واجبات في أماكن كثيرة من العالم .

ان ارتباط شعرنا بالتراث الشعري الألباني الكبير ، يتقوى يوماً عن
يوم ، بقدر ما يتحسّس الشعراء ويغذّون شعورهم الوطني . وهذه المسيرة
تتضح وكأنها تخليد ، أعني تقدماً مولّداً مجدداً وليس تكراراً قاحلاً .
اتنا لا تصدى هنا إلا لأفنان شعرية صادرة عن أرومة عامة أصيلة
مسؤولة ان تكون جزءاً منه .

إذا فرضنا ان الشعر تاج حرية وآلم ، تشكّن من القول بالمقابل دون
ريب ، ان شعرنا الألباني ثمرّة تجربة .
<http://Archivebeta.Sa...>

لا يمكن لأي متطلع التعمّق في المستقبل ، اذا لم يكن قد أقدم على
ذلك في الماضي ، الماضي الذي كان قلقاً بالنسبة لنا طيلة أجيال سحيقة ، وغالباً
ما يضي هذا التعمق واجهة قائمة على فنّنا . ومن هنا نجم موضوع أساسي
واصبح على وجه التقريب فكرة ثابتة : حرية الخلق ، أعني حرية الكتابة ،
وحرية التأليف والنشر وإيجاد فرصة للقراءة والمطالعة .

اكتسبت هذه الحرية بفضل ظروف اجتماعية مناسبة ، في حين انها
كانت غالباً وأبداً غير موافقة بالنسبة لنا . ولا نقصد هنا الحرية بمستوى

الكلام المقول ، أوبطريقة أفضل : صياغة التعبير الشعري . تمكن من الملاحظة منذ بدء البحث أن القصائد اللاحقة تتضمن مواضيع خطيرة ورسنية (ولنسمّها هكذا) أعني حيث يغيب الضحك وتكون الغبطة قليلة الوضوح والرؤية .

وفي هذا المجال ، يمكن اختصار المواضيع الواردة سابقاً في موضوع رئيسي أساسي : هو موضوع الصمود ، الذي يأخذ هنا شكل ومعنى اسطورة ، تختلف كما يبدو لي عن اسطورة الصمود البلقاني العظيم . فهما تعدّد الشعراء وتميّز البعض عن الآخر في أيماننا الحاضرة بشخصية خاصة . وبرغم هذا الضياع الذي عاناه الشعر فإنه استطاع مع ذلك النجاح والثبات متبعاً طريقاً أصولية وتطوريّة . حدثت هذه التغيرات في مستوى شكل اللغة الشعرية ، وكانت قليلة جداً بالنسبة لموارد الإلهام ومراكز الإفادة أو الاستفادة . فيلاحظ نوع تطابق مباشر بدءاً من صرخة عميقة . أو وضوح ألم ، معلنة بهذا الشكل المؤثر جداً :

« كوزوفا هي دمي الذي لا يهدى »

زد على ذلك ، تحرر اللغة ، نتيجة رؤية واضحة للعالم ، ويصبح هذا التحرر عبارة للمعنى الخفي للأشياء ، أعني الذي يظهر في كل المواضيع المنوعة ، بطريقة معنوية ، ورمزية حيث يتغلّب المجاز :

« يمكن طعن المضحّى به في القلب »

كما يتمكن الشاعر من سلوك طريق التهكم غير موفر حتى نفسه . وقد

يصل به التهمك حتى على نفسه ، فيصنغ بجدارة مفهوم عالمين متعاكسين :

« تحيا الحرية دون سقف في أعلى الرؤوس »

« دون شمس ، دون مطر ، دون ... »

بالإضافة الى تفتحها الغريب نحو الشعر العصري الذي يُنشر اليوم في العالم فالشعر الألباني غير قليل من الأثر الأدبي الذي تسبب في غالبية من العهد المأسوي .

يجب اذا ان نقرأ في هذا الشعر ، التعبير الكامل عن صراخ الألم ، والتعظيم الكلي للبحث عن الحرية ، مع الضحايا التي تتطلبها ، وبكلمة مختصرة : المأساة كاملة .

موضوع حصري : الحرية . والشعر : نتاج الحرية . نأمل في أن الشعر الذي سنعرضه هنا سيكون بالنسبة للقارئ تصويراً كافياً عما سبق إيضاحه ، ويسمح له كما نرجو أن يتأكد من ذلك .

(هذه المقدمة للشاعر صبري حميدي : وُلد عام ١٩٥٠ في دومنييه (بودجيفو) - نشر : « الرجل يموت صغيراً » عام ١٩٧٢ - « صفحات ونهاية » عام ١٩٧٣ - « سكين النسيان » عام ١٩٧٥ - « متفرقات » ١٩٧٤ - « نصّ بلغة مسرحية » عام ١٩٧٨ - « مائة عام من العزلة » « رواية عام ١٩٧٦ » - في دار النشر (ريلينديا) .

١ - حنين الى المستحيل

« للشاعر اسعد مكولي »

تهيم الغيوم في الأعالي ، كالخراف على الروابي •
بينما الحنين الى المستحيل يخصني وحدي
كنت أرغب في الاشتراك بدوارة الغيوم الحمراء
وأطير الى الجانب الآخر من الأعالي الرائعة
فرحاً بأغنية رعوية •

عندما ييزغ القمر ، ويشرف فجأة على الوادي
وتثن الأرض مع الليل
كاشعة فضية على السنايل
أجبر على الذهاب لرؤية زوايا المي المحبوة ، وأمكنه عذابي

آسف أن اشترك في دوارة الغيوم الحمراء
وقلبي الطيب يتمنى ذلك •
فليصرخ شبابي بكل قواه
وليتفجّر حنين قلبي المتألم

ولكن لم ينبض قلبي بتأثير صوت متقطع
والخوف يهدم نفسي بعمق ؟

لَمْ أرغب في تأمل الغيوم تعلو المدينة
بينما ان الحنين الى المستحيل يخنق أتناسي ويدمرني •

٢ - الأمل

« للشاعر اسعد مكولي »

أضطربت الأمواج المزبدة طيلة الليل
والمنارة أعطت الإشارة

والناس في فردوسهم الوهمي
غارقون في سبات عميق
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ممتدون - في مهادة قصيرة
لمرحة حياة أفضل - يجب إيجادها

أيضاً الفجر ، ونور الشمس ألقاً المنارة
واستيقظ النورس على الصخور

والناس وحدهم - لا يزالون بانتظار
أمل أحلامهم اللامتناهية
وحال ضجرهم ، تهزم الحقيقة

٣ - العظم

« للشاعر انور جبر كوكي »

نخرج من أحلامنا متعريين كلياً
عندما تهبنا سماء غريبة فجراً جميلاً
من حيث تتدحرج على الطريق هذه الكوارث الخسبة
إذ تنشقنا الريح ويردنا اليهم

ضوضاء الليل تخمد في صدورنا
وتحت ورق الأشجار الشفاف ، يُكدّن الحصان بعربة الجنوب الثقيلة
فيتساعد الغناء كظماً العشب والمغث للماء
كنّا واثقين بأنفسنا • من سيقطع الزهرة
عندما تتلف عظامنا ، وداعاً أيتها الجذور النسيطة
فكون قد تلفنا وتبدّلنا ... سيشرّب الليل كأسه دون خوف أو وجل
الصيف قصير ووهي • من سيهتّم بنا
دون شفقة أو رحمة ، يخز الصّبر عظامنا المبيضة
على حافة الممر ، تحررت خطوتنا

٤ - إيكار

« للشاعر أنور جيروكوي »

أين تهيم أيها الطائر الثمل في جوف درب ضيقة
من سيرث ريشك البهيّ الجميل •
من سيلحق إذا - وعلى مدى السنين - بعمرك
الألق السرمدي المشرق من كل صوب

سيذهب الصوت في الفسق نحو الاعالي
سيرتفع فكري معك دون انقطاع
لأنك ستعيش مدى الزمان دون لوم
أنت مولود من نور في هذا العالم المتعامي عن الحقيقة
أين تيه هكذا والنار تلتهمك
ومع طيرانك البطيء جداً تتقدم خطوتي الحرّة
أقدم لك جانبي المغمور بالجليد
وحتى تتمكن من صنع قارب ومنازة
وتضطرم فينا أخيراً النار المتأججة
أين أنت الآن ياسرّ السلف ؟

٥ - الرمل

« للشاعر عبد العزيز اسلامي »

قدّم لنا رمل الشمس نارا
ورمل القمر قدّم لنا ناعسا

من يستطع القول
من يستطع القول ان الرمل لا يفقه شيئا
إذ كل شيء في الوجود غنيّ بقسمته



٦ - دعاء

« للشاعر عبد العزيز اسلامي »

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

مع تريمة أولادي
سأعرض لك أيها المطر أرجلي المدمّاة

وفيما أولادي يغفلون ويحلمون
سأعطيك أيها المطر أذري المكسّرة
سأعطيك عينيّ المظلمتين أيها المطر
سأهبك نفسي كاملة أيها المطر
كي يستطيع بذاري التّأصل فيّ

٧ - أغنية براها

« للشاعر دين محمدي »

لم ينقطع براها عن الغناء
رغم تغضّات جبينه المسنّ

تابع براها غناءه
جاعلاً على كل طريق حياة تحرس

ثابر براها على الغناء
وقد مضت الطرق جزءاً من حياته

ورغم معرفته نفسه حتى في كل حجرة من جسده
لم ينقطع براها عن الغناء

بكى النور المتحطّم في عين الفجر
وما كان براها ليتوقف عن الغناء •

ذات يوم أحرقت الصاعقة كمانه
ولم يكن براها قد أنهى أغنيته •

٨ - الدعوى

« للشاعر دين محمدي »

في دعوى غير موقّعة ،
وجدوا أن سبعة مسامير صدئة
قد ثقت اسماءنا •
أسماءنا المُماتة ، وهياكلنا العظمية مدلاة في متحف همجي

دعوى - جمجمة •
وآخرون كثيرون - جبل من عظام
والحياة امرتعدة كانت تبعد مع غبطتها الوهية
كالظلال التائهة ، فوق منظر حزين
أصبح أحدنا كالمجنون في الدخان
لأنه لم يكن يملك الثقة بنفسه منذ مائة عام
ولأن الموت لم يكن يُنشده ، لا في حينه ولا الآن
دون أغنية حزينة •

دعوى - جمجمة ، وآخرون كثيرون جبل من عظام
والحياة مكبلة بين أخاديد الجحيم •

٩ - هذا الصخر

« للشاعر علي موساي »

تصدّع الصخر ، وتساعد قلبه الى جيبي •
وزد على ذلك فان أحدهم هزى ، في ضريحه من لعبته
على هذه الأرض التي لا تفتأ تخضر •
لكن قفرة الناس قد انحسرت
نعم لقد تشفّوا من الترهّات العنيدة
والأشعة الشاحبة •
هذا غير مهم ، فليتفجر هذا الصخر وليتصدّع
بقلبه وقفه على جيبي •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

١٠ - تخلصت من الرؤيا

« للشاعر علي موساي »

خلال الأجيال المثقلة بالهموم
لم أبال برؤيا كريهة
هذه الكلمة التي علّقوها هم فوق عظام الصمت
فوقنا وتحتنا - كعصف جلاجل شديد
وعلى أجنحتي المتينة ، خلال الضباب الكثيف

بين الأشعة القاتمة ، تخلصت من الرؤيا
واستعاد الصمت كلامه •

١١ - في الانتظار

« للشاعر باسم بوكشي »

أنتظرت حزناً - كالصخرة - كالنجمة المطلّة على الأفق
متأوهاً ، سنوات عدّة خلت
أنا فاءٍ بعيد - هناك حيث الحياة تعاقب الموت
هناك اجترّ أيامي المشرقة •
عند عودتي ، ربما انها ستجدني قد تقدّمت في السن
ولن أستطيع الابتسامة كنسيم الربيع
لكنني أستطيع أن أموت ، لا سيّما من الفرح

١٢ - الاربعاء

« للشاعر باسم بوكشي »

لست أنا منذ الآن سوى صدى متصاعد
لرجل ولد يوم الاربعاء ، ولن تستطيع ان تجدني في أي مكان
وباكراً جداً يأتي الاربعاء ، جالباً وراءه الأحد الكبير

الذي يقطع رنين كافة أجراس الحياة ••
ليقرب الثلاثاء ••• يا له من خطأ !! كم هو قريب الخميس •••
وأنت أيها الولد السعيد ، المولود يوم الجمعة
لن تعرف أبداً سرّ قصة الناس المولودين يوم الاربعاء
كم هو قريب الخميس ••• كم هو قريب الثلاثاء

١٣ - سخر

« للشاعر آدم غايتاني »

ريشه بيضاء من غراب - ثلاثة رؤوس عطايات عمرها ثلاثة شهور
رجلان ثماليتان لحية عمرها ستة أشهر - أربع بيضات تدرج لم تفقس بعد
شعرة دقيقة سرّداء من ابنة صبياء - سبع دويبات وزين من اليوم السابع من تموز
ذيل سلحفاة عمرها سبعون عاماً - بهجة شاهدة قبر عذراء
حلام عروس دون ليلة عرس - سلطعون من اليوم التاسع من شهر آب •

عندما يتلج الفجر دجّة الليل، علّق كل ما مرّ بلا ترتيب بعقد جبل
وفي وسط الليل الفسيح الأعمى ، ضعها كلها تحت ذراعك الأيسر
فيما عينك اليمنى مغمضة وغافلة •

١٤ - الشنجر

« للشاعر آدم غايتاني »

عقربك وسلطعوني يتشاجران ، ويعطلان أقواس قزح غير مرئية
ثعبانك الأصفر ، وحيتي المخططة ، يختلطان بالسماك الأبيض .
عنكبوتك كبير الرأس ، ينسج قماشه بأناة .
بينما سكينني المؤذي يمزقه الى قطع كالحرير
مديحك يتخلص من البحر ، ويعكّر غيوم السماء التاسعة

أنا من جهة ، وأنت من الأخرى ، نسحب دون جدوى
دون الوصول الى قطع خيط السلام .
أنا مبحرون ، أنت في الصباح ، وأنا في المساء
وستلاقى في سمّت النهار .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

١٥ - الجسر

« للشاعر محمد كرفيشي »

هناك جسر يبدأ بي ويُعيدني الى طفولتي الضائعة
ويوصل حنيني الى وطني
وهناك جسر يبدأ بي حتى يصلني ببיתי الصغير
وفوقه تعبر أمي العاجزة .

وهناك جسر يبدأ بي ويربطني بفتاة أحلامي
وعنده يظهر اصطباري وانتظاري

١٦ - المفتاح

« للشاعر محمد كرفيشي »

في خلايا الصَّدَف ، تجثم التطلّعات
وعندما يُقبل غنائي ، يظهر مفتاح نعم آخر
ويتسرّع الألم الى قلب مغلق ..
مفتاح مجهول : بابه هديّة الانتظار

ARCHIVE
الوجه - ١٧

« للشاعر فخر الدين غونقا »

هامت بحب جنوني للصخور ، فارتطمت بها كالمرأة في ذروة الاتعاظ
حاملة بين ذراعيها فرحة البعد ، والتاريخ الكاذب للجمال و ...
تنشأ في جوف البحر ، كطفل ابن حرام ، نتيجة خطيئة مجهولة
جبل ببتعة خادعة لأجل الحياة و ...
تنساب كاللص في أحضان الصخور
وتلتصق بصدر ممزّق لمحارب قديم و ...
وتكذب ولا تملّ الكذب و ...

الكذب لعبة الأمواج •
— لعبة المدّ والجزر — والولادة والوفيات و ...
تدهشها رطوبة الصخور ،
وياله من خداع بتظاهرها التعلق بالعصور •

١٨ - الصخرة

« للشاعر فخر الدين غونقا »

عالم مسن ، مغضن الجبين ، جلس يفكر بماضٍ يتجدد دون انقطاع
يكن صموده تحت أظفاره — كم من رؤى تحطمت دون شفقة
أو حنان أمام جبهته المتفضّنة و ...
وكم من موعد أبطل ، أمام صيته الجمّ —
فيلسوف قمين بحكمة الحياة ، دوماً يلفه السر
انه يعتقد : ان الزمن أحسن صديق له •

(لا لأنه يحمله كريشة) — بل لأنه لا يفقه منه معنى أي كلمة سوى
كلمة السلام •

لا الأمواج كالبنايا بلون زرقة السماء
تتمكن من تهدئة روع قلبه •
ولا الصبايا يعونها الزرقاء ، التي تعانقه ببرود
تتمكن أيضاً من إبعاده عن الحكمة ،

لأنه : كعالمٍ مرموقٍ وذو تفكيرٍ صائبٍ ،
أكتشف منذ أجيالٍ أنه الحقيقة •
لكنه لم يَقُلْهُ ، ولم يكشف عنه •

١٩ - التفاحة

« للشاعر كريم أويكاني »

انظر كيف أن التفاحة سقطت عند قدمي
وكيف أن الغصن المنفرد أخذ يفكر
من دلهـا على إيقاف خطواتي التي زلّت أمامها
وأمام جميع الأشياء ، التي نوت الرحيل ، لكنها لم تنطلق أبداً
من دلهـا على زرع البذور السوداء وإيصالها إلي
بكل مالهذه الكلمة من معنى <http://Archivebeta>
هناك حيث كل شيء بعد دورانه حول العالم
يعود إلى نقطة انطلاقه ؟
لم تكشف أيّاً من يديها ، ولم تثر لذوق أي لسان
ولم تبسم لأية عين
من منحها كل هذا الجمال الكامن في شكلها ، وعذوبتها
ومعرفة كياني الذي وهبها إياها
وخلّقت الغصن المنزوي وقد تأهب للتفكير

٢٠ - العصفور

« للشاعر كريم أويكاني »

سيبديل كل شيء ، لو لم يكن هذا العصفور
انه الوحيد الذي يعرف بدء عذابى منذ الفجر ..
هو يجهل من يفتح لي أبواب عهدي :
أية ربح ، أية يد ، أية كلمة ، أي زمان ؟
وهو وحده يأتي لإنشاد سامفونية رغباتي
بدونه ، لست أدري هل أصبح ما أنا عليه
ربما ان كل هذه الأشياء ستحمل أسماء أخرى مختلفة
انظر إليه يرسم الآن المجاعة المحلاة في سماء مفرغة
نافضاً بأجنحته غبار برق ، يقول « وداعاً لكل تطلعنا »
لن يتلون الحنين بلون العشب
ولن يتقن الألم الغناء في سهلي المت موج

٢١ - الكلمات

« للشاعر آظم شكريلي »

أشيد معك ، حجراً فوق حجر ، السور الصيني لثقتي بالانسان
في عمتي وفي الأشياء التي لاتتعرف عليّ - أضع حجراً فوق حجر
على الأفكار ، على الصمت الذي لاأومن به

وعلى ما لا يمكن قوله عن الحمل - أضع حجراً على حجر
على ألم الانتظار ، وعلى الدم الذي لا يغفره لك
على الآثار القليلة التي حفظتها في الطريق الخطرة
على خطيئتي وخطيئة « عيسى » التي لم أرتكبها
لأجلك أضع حجراً على حجر على كفتي ، على الخبز الذي لا ينهرس
على سنوات والدي الملتوية ، أضع حجراً فوق حجر
على كل ما لا أملك
على كل ما لا أستطيعه
أضع على رأسي حجراً فوق حجر ، وأقسم يميناً

٢٢ - العليل الصفراء

« للشاعر أعظم شكر لي »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ابتعدي عن دمي أيتها العليل الصفراء
ابتعدي عن دمي ، أو أنا سننشأ في مرة قادمة بين نباتات أخرى •
هنا وهناك يرتفع السرو ، متفاخراً بمكان ولادتي
ترتع فيها الخراف البيضاء ، ثاغية ، في الكلا الندي كالحليب
ابتعدي عن دمي ، هنا وهناك تغرد العصافير ،
زغبها حلو ، ريشها أخضر ، والينابيع المثلجة ، ينايع الماء الصافي
هنا وهناك تلهو الصبايا ، من كل لون جميل وردي ،

الصبايا باهرات الجمال يقدمن جبهن الباكر الماكر
ابتعدي عن دمي أيتها العلل الصفراء
هنا وهناك ، ليست العيون وحدها التي تموت
ترتجف كلماتنا وأصابنا - ابتعدي عن دمي ،
الأفضل أن تبتعدي عن دمي لأننا في مرة قادمة :
سننشأ في أحضان نباتات أخرى

٢٣ - العنكبوت

« للشاعر رحمن ديداي »

تبدأ لهولك من النهاية ، كي تصل إلى اسمك ،
الذي تكتبه بعقده وخيط سحري
تسلّك جميع الطرق ليلاً ، والملائكة تسهر عن المنير
تحوّل كل الطرق إلى أقواس ، تحيك الحلقات وترقمها
وتسمي العقدة
تسجّ قماشاً عجباً جداً ، ومن أعماق هذا النسيج ومن خلاله
تتقصى عيناك وترقب ، كعيني صياد جائع
تبني الحياة ، وبفضل أقواس وحلقات ، لا يمكن قياس قطرها
حسب المعادلة المعروفة : $2\pi r$.

٢٤ - الكلب

« للشاعر رحمن ديداي »

يعدو وراء البرق ، لا يبلله المطر - سيجد صديقه
يدور حول الشجرة السوداء ، ويتثبت بظله - سيجد صديقه
يحاول خفاش لمس رأسه - سيجد صديقه

٢٥ - غيرة الماء

« للشاعر ميركو غاشي »

عندما الساقية تعاقب النهر ، تموت هناك حيث يجتمعان
ويتحول الموت الى جزيرة ، وتتصالح السواقي في النهر
بعد عناق النهر والساقية ، تغيب العنقاء عن العين
تختفي وتختفي عبر الزمن
معلنة عن كل موت ، وعن كل ولادة

٢٦ - انتقام الماء

« للشاعر ميركو غاشي »

بعد أن أرعبته العاصفة ، أصبح العصفور فريسة رؤيته
إثر عراك الماء والنار ، توجهت نحو الغابة

على ضفة النهر ، تتمدد ظبية
تحيط بها طريق المخاطر ، وفي النقطة الصفراء يقترب الموت
بينما تنمو الخراف ، وتصير الريح بأسنانها ، أممء يدي نحو النار
عينان اثنتان ، تلتسان عون النهر ، الذي يتوزع إلى ألف رافد
انه حي ، لكنه منك
أنا آتٍ الى كوخك يا ابني لأخبرك ان الظبية ممددة .

٢٧ - الهرّ الأسود

« للشاعر علي بودريما »

تبعني هراسود ، طيلة سفري الطويل
قالت لي نفسي : انني سأقف في نصف الطريق
وقالت لي القصيدة : لن تغنييني أبداً بصوت مرتفع
وقال لي النور : الأعمى سيبقى أعمى
رأيت مناما وكأنه يقول لي : فتش عليّ في الحقيقة
لكن تعال وصرح بهذه الكلمة ، لأنك لا تعرف من تحب أو تبغض
تعال وثق بيريق وجهك
هراسود تبعني ، خلال سفري الطويل
يدل على ساعة المصير

٢٨ - عهد إلى أشعار هوميروس

« للشاعر علي بودريما »

عهد إلى أشعار هوميروس ، عهد من حيث أتيت
عهدك قد ولي ،

عهد وحرر الناس من أنفسهم ، ومن الظلمات

حررهم من أقنعتهم ، ومن الهزيمة

حررهم من سهادهم ، ومن الصمت

حررهم من اضطرابهم ، ومن الأمطار

لقد ولي عهدك

عهد إلى أشعار هوميروس ، تروادة سقطت منذ زمن كيف
والناس لا ينشدون بعد نشيد التحرير

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

٢٩ - الأسماء

« للشاعر موسى رمضان »

الأسماء لا تشبه الأرقام ، تميزنا الأسماء عن بعضنا في الحياة
وتفرقنا عند الموت ،

ولا أعلم كيف يقال أن ليس لديها فوارق

حتى لدى من لم يجيء إلى العالم باسم ومن يذهب إلى حتفه دون اسم
الأسماء لا تشبه الأرقام

تكتب الاسماء أو تمحى وتحفظ بصعوبة
عندما تجبر على وصف العصور والعهود

٣٠ - حوار

« للشاعر موسى رمضان »

هناك رائحة يا جار - رائحة كريهة تطنى عليّ
يالها من رائحة قوية : رائحة الدم
حقاً أجب الجار : ان هذه الرائحة قوية وقوية جداً ومكانها عميق
هذا صحيح أجب الجار الاول : ان مكانها عميق وعميق جداً
آه يا جار ان الدم رصاص
أجب الاول ان الدم أثقل
- والكلام أثقل أيضاً من الدم <http://Archivebeta.Sa>
- أثقل بكثير من الرصاص أجب الثاني
فآه من الدم أيها الجار وآه من الكلام

٣١ - السبت

« للشاعر ابراهيم قادري »

الندى وكل ما يحيط بي - سيُقبَل رجلي المرتاحتين
بينما الكلمات الجريحة ، ستبقى في ساح القتال دون أية اغاثة

يتكبر السبت على المائدة وأخذ يحيي الوجوه والمرايا
شعري يغتسل العينين ، ويغرق العطش بالتضحية
يخرج خصيصاً ليسرق السبت ، ويجعل فيه كل مغامرات جبه
يستعير من الأرضفة ضجة خطاها ، ويحولها الى أنغام موسيقية
ياله من إلهام » بندريكي Pendreki في الأيام الغابرة
التلال المشجرة تستقبل المدعوين الى العزف على القيثارة
بينما ان الشعر يوجد ثمانية ليشعاق الأبدية

٣٢ - عودة الى النسيان

« للشاعر ابراهيم قادري »

بيتي وما يحيط به محروم من القاسفة
أبي وأنا قطبان متقنلان
لا تصل الكلمة الى نهايتها ، بل تأخذ لون السناج والدخان
ليس للمحاكاة قيمة ، ولا للغناء ، فتبقى سوداء
عودة الى النسيان في مقطع رأس
هناك في سلسلة الجبال ، سبعة جبال ارتفعت
ارتفعت في اسطورة مسمومة ، في البارود ، في الرعد
وكل العالم وقف ضد والدي ، لأنهم كما يقولون :
وان كان مائتا ، لايفتا أن يشور
نسيان العودة الى مقطع رأس

٣٣ - الهيكل المنفرد

« للشاعر باكير موصلي »

شاد أحدهم هيكلا في أعلى الجبال الكريهة
وبكى كناسك متزهّد أثناء غفّارة حزن وندم
وآخر خلف التّنين الساخط ، جزأ السماء الى قطع
لا أعلم الى أي عهد يعود هذا ولا أية أسطورة تروىها الجدران
قضى الصيادون صيفهم ولم يتخلوا عن بنادقهم
ورثوا حبّ الحكماء الضائع
لم يجر النهر نحو المصب ، وتعلق بأقدام الهيكل
سُحِبَت أسنّة السيوف تحت تأثير الحقد ، والتمهه الناس بالمرهيب
ونمت كنباتات في أرض مشاع
أبطال الألم أقبل عليهم ، وأفت الجدران
عند تقديم مسرحية النّسور المنزوية ، تلك المسرحية اللعينة
بكى أحدهم بمرارة حياته الناعسة جداً
ثمّ رحّب بالموت القريب الذي ظهر كثير الحنان .
نمر أسود وقد هيجته رائحة الدم في الهيكل المشاد
التمه الزهرة والحارس ، بكل هول الجمال
ورافقت العاصفة الكلمات الصوتية للبكاء الموزون
وبقيت هكذا مهيمّة في أعلى هيكل الجبال اللعينة

٣٤ - وراء الستار

« للشاعر باكير موصلي »

ماذا يجري خلف الستار ؟ خلال متابعتنا المسرحية
ربما يُطعن المضحى به بخنجر في القلب
وينصب أحمر وردياً في اناء مجفف
ربما يموت أحدهم ويدخلوه ثقب إبرة

تخيل مكان ضريحه غير ممكن ، الله وحده يعلم في أي بيت
يمكن أن يشرب أحدهم الكأس المسموم
فنزجر كلنا بصوت واحد : نهملت

نستطيع أن نقول له بقاثر : يالها من لعبة مسرحية
يمكن أن يضحك أحدهم وهو يبتني على جبل هوايته المنسوب

تتحول الفرائز الى شيء مؤلم يدعى مأساة .
فيمكن أن يهيننا أحدهم فنهزأ بدوره

الانسان يقوم بدوره من خلال قناعه
ربما للمهرج أن يكي لأغانينا التي ليست على شيء
فنتمكن من ترديد البكاء الذي يرسم على أحد الوجوه
يموت أحدهم فنزجر كلنا بصوت واحد : ما أعظم هذا !!!

عندمقارنة سحره بلعبة لا نهاية لها
يتمكن الطائر من الانتحار باسم الفن الظاهري
وهكذا خلف الستار يمكن للحياة أن تلعب أدوارها ومتناقضاتها المحزنة
المضحكة

٣٥ - المدخل الى مفهوم كلمة العزلة

« للشاعر اكرم باشا »

في جهة ما يرتفع بيت مهجور
جدرانه مشققة وسقفه منحط
في حديقته جف العشب ، وتكوّم الغبار
أما بابه فثابت راسخ وكلب يحرس في أعلاه
رجل مهمل قصير القامة ، لصيته مخلوقة دون اهتمام
شعره أشعث ، انه يستدير ، يستدير وكأنه مجنون
وجه تائه في التأمل ، والأمل مفقود
يفتش عليه كلبه

٣٦ - الأرض

« للشاعر اكرم باشا »

أيّتها الأرض التي منحتنا الرطوبة ، وغدّيتنا بجذورك

لطفاً افتحي لنا قلبك ، واذا تمكنت فتطلمي في وجوهنا

أيتها الأرض الحنون التي أعطيتنا النور
والاهتزاز عند التفكير في النوم
عودي لتتمكن من رؤية تصدعات ظهرك
بسبب الشمس التي لاتنفك عن تجفيفك

أيتها الأرض المنهكة التي وهبتنا الراحة
وحياة لاتزال مجهولة لدينا
اسمحي لنا بتأمل السماء التي تملوك
واسمحي لنا أيضا أن تيه في أعماقك

ARCHIVE
http://www.37.com - قطع عضو

« للشاعر نشات حليمي »

لم يعد وني بالفجر ، جسيمي دون رأس
قطفوا وردتي المدماة
أبحث عن مأوى خلال العالم الفسيح
الخضرة تغشّي بصري ، ويؤجج العطش تغضنات جيبي
الذي تملؤه العزلة
وهناك فيما وراء النهر ، أضعت الأحد « يوم عطلتي »

وسلبوني أيضاً يوم الاثنين
ابحث عن حظي خلال العالم - وعما سيجلبه يوم الثلاثاء

٣٨ - الموت في الصيف

« للشاعر نشأت حليمي »

يخلف الأحد الوعد بيني وبينك
ينام على حافة النهر دون تفكير ، ملسوعاً من حية متعفنة بحوراء
يبحث البيت عن رأسي ، والوردة ذات العين الزرقاء
فصلها الخبز خطأ ذات ليلة
تلتصق اللمة الباردة بالسناج
أتناول قدح شاي في الشرفة ، وأرسم غزالاً مع تشاحة على كل من قرنيه
وهناك في ملتقى الطرق من الشوكة القديمة ، يمارسون الحب •
سقوط آخر غصن في بستانني
آلهة وبنات ضائعين مائجين على حافة نهر ، وضعوه على الملح
وهناك في ملتقى الطرق من الشوكة القديمة ، أطلقوا كلمة مجهولة
إبّان فصل ما ، يبحث البيت عن رأسي على حافة النهر
ووردة الفجر في غرفة دون أصل
وثمة شمعة تحترق على الطاولة

٣٩ - دون شمس - دون مطر - دون ...

« للشاعر صبري حميدي »

ضفرت الغابة أكاليل زهر ، ولى النهار والصيف أيضاً
أقبل الخريف تباعاً بخضرته ، هبط الجبر على ملاولة حُشْب رمادي
هجر الرجل أخته وأسرته ، بكى العشب المقتلع فتأثرنا له
تحيا الحرية دون حدٍّ في أعلى الرؤوس
دون شمس - دون مطر - دون ...
لا يوجد بعد شيء في نفوسنا ، لا خضرة ، لا زهور ، لا حيوية

ثلثتهم الزهور في الليل الكريه ، بسبب ألم قاسم
وأول أمنية تتحقق

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

٤ - السكين

« للشاعر صبري حميدي »

مَنْ يطعنني بخنجر ، مَنْ يقتلني ، من يوقني ، من يشقني ؟
يَحْزَنُ السكين في أعماق صدري ، فيجري نهر دم مجيد
يخمد النظر في بريق العينين
من يشقني ، من يوقني ؟
عيني هي عين الدهشة ، عند مرأى هذا العالم القذر
لا اليد ولا الظلام الدامس
مَنْ يقتلني ، مَنْ يطعنني بخنجر ؟؟

نبذة
من حياة كل من الشعراء
المشاركين بوضع القصائد :

١ - أسعد مكولي : ولد عام ١٩١٦ في بلاف ومن آثاره : لأجلك
أنت عام ١٩٥٥ - وأقشأ آدا *

٢ - أنور جروجيكو : ولد عام ١٩٢٨ في جياكوفو ومن آثاره : آثار
الحياة - حدقة عين الغابة - أنغام طروبة -
تحضير المتأخر - عظمنا - شرر الصوان -
الرهان *

٣ - عبد العزيز اسلامي : ولد عام ١٩٣٠ في فاير (تيتوفو) ومن آثاره :
الريح والأشعار عام ١٩٦٤ - الأغاني الطروبة
عام ١٩٦٨ - تأملات أرضية عام ١٩٦٩ -
الحصى عام ١٩٧٤ - الفجر في القرية
عام ١٩٦٥ *

٤ - دين مهميتي : ولد عام ١٩٣٢ في يونيف ومن آثاره : على
ساعد الصخور - شبيبة معرضة للشمس
عام ١٩٦٦ -ذبذبات النور عام ١٩٦٩ -
الصمت المكس عام ١٩٧٢ - الحظ
عام ١٩٧٤ *

- ٥ - علي موساي : ولد عام ١٩٣٣ في تيرانا ومن آثاره : الصدى فقط عام ١٩٦٣ - درجات الخوف عام ١٩٧٢ •
- ٦ - باسم بوكشي : ولد عام ١٩٣٤ في جياكوفو ومن آثاره : انتظار •
- ٧ - آدم غايتاني : ولد عام ١٩٣٥ في بودجيفو ومن آثاره : النور في القلب عام (١٩٦١) - مفتاح الصمت عام ١٩٦٤ - أنت غناء وأنت عصفور ناء عام ١٩٦٨ - الخاتم عام ١٩٧٤ - لا خوف ولا عصفور حب عام ١٩٧٣ •
- ٨ - محمد كرفيثي : ولد عام ١٩٣٥ في بايا ومن آثاره : ألوان الحب عام ١٩٦٤ - صور منمنمة عام ١٩٦٦ - الأمواج الجديدة عام ١٩٧٢ - الحلقات عام ١٩٧٣ - أهرام عام ١٩٧٢ •
<http://ArchivBeta.Sakniti.com>
- ٩ - فخر الدين غونكا : ولد عام ١٩٣٦ في ميتروفيسا ومن آثاره : وشوشات الفجر - اللعنات الهادئة - نشيد الحجر - رأس الرجاء الصالح •
- ١٠ - كريم أويكاني : ولد عام ١٩٣٧ في بايا ومن آثاره : الآثار عام ١٩٦٣ - حكاية الموقد - البحر أو القصيدة القلقة عام ١٩٦٧ - قصيدة جريئة عام ١٩٧٢ - تعجب عام ١٩٧٥ •
- ١١ - أظلم شكريلي : ولد عام ١٩٣٨ في شكرل ومن آثاره : قطرات

الماء - الملائكة الجوَّالون - أعرف كلمة

صخر - تورااة الصمت - عيون حواء

(حكايات) القافلة البيضاء (رواية) *

١٢- رحمان ديداي : ولد عام ١٩٣٩ في باندوه ومن آثاره : مع عين

الأغنية - سامفونية الكلمة - الموشح المنفرد

ظماً - العصفور والبرج *

١٣- ميركو غاشي : ولد عام ١٩٣٩ في كرايفو ومن آثاره : في أعصار

الماء عام ١٩٧٢ - الليالي البيضاء عام ١٩٧٥.

١٤- علي بودريما : ولد عام ١٩٤٢ في جياكوفو ومن آثاره :

النداءات عام ١٩٦١ - منديل الوداع - الرافة

عام ١٩٦٧ - سامبو عام ١٩٦٩ تورزو عام

١٩٧١ - الفعل عام ١٩٧٣ - الايمان عام ١٩٧٦.

١٥- موسى رمضانبي : ولد عام ١٩٤٤ في جيلان ومن آثاره : خطايا

آدم ١٩٦٧ - شكايات (تأوهات) ١٩٧٠ -

ربات الفن لا تنام عام ١٩٧٧ - نيروزييس

عام ١٩٧٣ *

١٦- ابراهيم فادريمو : ولد عام ١٩٤٥ في زيجر ومن آثاره : ليالي

كرداك عام ١٩٦٩ - شيء يمر ١٩٧٢ -

مسافة ١٩٧٧ - وكتب أيضا للأطفال: الصيف

ينظر الى الشاطئ - النهر يجري - ارماند.

١٧- باكير موصلي : ولد عام ١٩٤٥ في جيلان ومن آثاره : قواف
قلقة ١٩٦٤ - زهور الدم ١٩٦٦ - قصائد
متوجة ١٩٦٧ - جمال كرية ١٩٦٨ - السمس
١٩٧٢ - حكمة ١٩٧٦ •

١٨- أكرم باشا : ولد في دبرا عام ١٩٤٩ ومن آثاره : مذكرات معلم
١٩٧١ - توقفات النبلاء ١٩٧٢ - النجوم ١٩٧٧
- بوليب - بتيكون ١٩٧٤ - نزهة خلال
الغيوم ١٩٧١ •

١٩ - نشأت حليمي : ولد في دومنيكا ١٩٤٩ - ومن آثاره: استعراض
العطش ١٩٧٠ - قريب من البعد ١٩٧١ -
الدفء ١٩٧٤ •

٢٠- صبري حميدي : ولد عام ١٩٥٠ في دومنيه ومن آثاره: الانسان
يموت شاباً عام ١٩٧٢ - صفحات ونهاية
١٩٧٣ - سكين النسيان ١٩٧٥ - مختلفة ١٩٧٤
- نص موضوع بلهجة مسرحية ١٩٧٨ -
(تجربة للنقد الأدبي) مائة عام من الوحدة
(العزلة) رواية ١٩٧٦ •



نفحات من الشعر النسوي الألباني في كوسوفا

• ترجمة: عبد اللطيف الأرنؤوط

من اقليم كوسوفا Kosova استمدت الحركة الأدبية الألبانية في يوغسلافيا قوة دفع متكافئة ، سايرت الموجة الكبرى ، موجة الثقافة الحديثة فيها حرب التحرير ، لتبرز بوجهها المتميز كواحدة من الثقافات الأوروبية الأخرى ذات الاصاله وذات العراقة معاً .

وقد نقل الينا تاريخ النهضة الادبية في كوسوفا اسماء شاعرات تلمسن ملامح الطريق الى الحياة المعاصرة ، واستشرفن الحياة الجديدة للمجتمع اليوغسلافي ، فعبّرن عن تطلعاتهن وأحلامهن للمستقبل ، فكان عطاؤهن الشعري غنياً بالشاعر الانسانية ، متميزاً برؤية واعية لمستقبل الانسان الحديث في المجتمع الأوروبي الحديث ..

وهذه نفحات من مشاعرهن .. ونماذج من ألحان قلوبهن ، وهي مشاعر امتزجت فيها نغومة الشعر النسوي بقوة الايمان والثورة .

وهذه القصائد المختارة تشرح ذاتها وهي كميّلة بأن تعطي فكرة كافية

□ نفعات من الشعر النسوي الألباني في كوسوفا □

عن أبرز مضامين الشعر النسوي المعاصر في إقليم كوسوفا ، وخصائصه
الفنية ...

١ - ادي - شكريوهوتي Edi .. Shukriu .. Hoti

من مواليد عام ١٩٥٠ في مدينة بريزين Prezeren

أهتمت بكتابة الشعر أثناء دراستها الثانوية .. وأصدرت ديواناً ضم
بقا من قصائدها بعنوان :

- هذه الليلة .. يحتفل قلبي صدر عام ١٩٧٢ .

في أعماق الشاعرة دنيا بعيدة .. ترفرف فيها الروح بوحى القلب . .
وتعقب فيها الرياض بعظمه .. ففي قصائدها سحر لهفة الأمل ..

١ - امرأة من كوسوفا

آه لو كنت عصفوراً

أطير الى حيث تتخطر العروس

أنتقل بين الاغصان الوارفة .

لألمح من تعثر بها الحظ

في غياهب البيت .

□ □ □

آه .. لو كنت صخرة
فيرتكز عليّ الجدار
وأصبح دعامة للبيت
كي أحفظك أيتها المسكينة
من ثورة العواصف •
ولهيب الشمس •

□ □ □

آه .. لو كنت حديقة
في ساحة دمرها الألم •
لأنثر ظلالتي حولك
أغمرك بعطري •
وأغنيك بشماري
ولأصبح أيتها الحزينة
مقبرة لمتاعبك •

□ □ □

أفيقي ••
ثوري ••
لم يكتب عليك التخلف والحرمان
ثوري ثورة الأيام العاصفة

□ نلعات من الشعر النسوي الالباني في كوسوفا □

حطمي القيود
أسمعي العالم صوتك الرهيب •
أنفسي عنك غبار التخلف والظلام •
□ □ □

وان مت دون ذلك
فستبعين في مكان فضالك
ستعود اليك الحياة
من جديد في يوم ثورتك
أغنية على شفاه رفيقاتك
اللواتي سرن على طريق كفاحك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٢ - الأم

ولدتني أمي
مع الألم
وخيم الحزن
يوم مولدي

□ □ □

ولد الحزن معي
لأتسي أثنى

أفت ستلدين
وتعذبين بحراب من الألم
وبين موجات الفرح
ستلدين .. وميعم الفرح
وستكون ابتك يا أماء
مغمورة في بحر الفرح

□ □ □

٢ - افروديتا اسكنديري - Aferdita Skenderi

في عام ١٩٤٢ وفي ضواحي مدينة ميتروفيسا Mitrovica
ولدت الشاعرة .. بعدما أنهت دراستها .. عملت في التدريس .. عالجت
كتابة النثر ثم الشعر .. وما زالت تشق طريقها الى أعماق الانسان .. وتنطلق
في مسالك الأحلام .. لكن تعلقها بجمال الغابات .. وجها لصفاء الطبيعة ،
جعلها تعطي الكثير من أنداء أحلامها .

١ - تأملات في الغابة

أنامل ..
أرى الرجال الأشداء
ذوي الجياة العريضة
وقد شدوا أحزمتهم

□ نفحات من الشعر النسوي الألباني في كوسوفا □

وحملوا حراهم

□ □ □

غدت كل شجرة بطلاة
وأصبح كل غصن سيفاً
وبندقية ..

□ □ □

في الغابات ..

خلدت خطواتي

أتأمل ..

أرى القبعات الملونة
والرجال *

الذين عصبوا جراحهم بلفافات حمر ..

□ □ □

بدت كل قبعة وكأنها وحدها

قمة جبل

وغدت كل قمة

راية خفاقة ..

□ □ □

تكلمت الغابات بالرايات
اني أناملها
فتثور دمائي كالبحر

□ □ □

٢ - صوت المحراث

حيث السنة اللهب
في الأرض
في الغابات
ثمة حب كبير
في الحقول
وفي المصانع !!



□ □ □

حيث تنطلق الأنفاس
ويعلو ضجيج المحركات
وصدى المعاول

□ □ □

أين ذلك الحب الكبير ؟
في الأرض

في الازهار
في الاتاج ؟
أين ذلك الحب الكبير ؟
هو في كل القلوب
أين تلك الأنفاس العطرة ؟
في الأعماق
في الأفاق
أين تلك الأنفاس ؟
انها في كل مكان .



في أعماق الأرض
في أعماق الانسان
يكن الحب الانساني الكبير

□ □ □

٢ - جبيرة دميري Gebrije Demiri

في مدينة فريزاي • وفي عام ١٩٥٧ ولدت الشاعرة وعندما أنهت
دراساتها الجامعية •• عملت بالتدريس في ثانويات مدينتها ••
نلمس في قصائدها البساطة والقلق النفسي ••

١ - النور الأبدي

أيها النجم
يا لمنظرك الرائع
بين نجوم السماء
ما أجملك وما أروعك ••
في كل فصل ربيع
يا عروساً •
توشحت بالغار
وارتدت ثوب العزة والفخار

□ □ □

تتلاها أبداً منذ شبابك
تستلقي على جناح الحياة
فينتفي عن الليالي كل سام

بسبب وجودك ..

□ □ □

ها قد وهبتك مقلتي

وبها اليوم

تظعن كل ناظر

ويندو الربيع ضفائر من نور

مسدلة على أكتاف آمالنا

وفوق البسمات والعيون .

□ □ □

أفاسك تداعب الورد القاني

وغدا ترك تبقى أبداً

<http://Archivebeta.Sa.hijit.com> تشق أجواء أرواحنا .

□ □ □

ويتطاير الشرر

على جباه الكلمات

وأنت تبرق على عتبة حياتنا

أيها النور الأبدي

□ □ □

٢ - لن يبدل النهر خريره

خيوط الأفكار الرفيعة الدقيقة
يجمعها العقل ويعقددها
لتكون ظلاً للنور
والزمن يركض مسرعاً
وعلى جبهته تزداد العضون
ومن حوله
تجتمع البسمات
وتسكب الدموع
هو يهيئ لها مكاناً
تحت سقف الذكرى
حيث لا شمس
ولا نور ..

□ □ □

ثم تتبدد الأحلام
دون أن تتحقق
أحلامنا الكثيرة
التي تحكي عن طيور السماء المهاجرة
والشمس الغاربة .

□ □ □

□ نلعات من الشعر النسوي الالهي في كوسفا □

كم من الأحلام بنينا
فوق صدر الحياة
فلم نردها ثقلاً أو حمولة
كم من الأصداء غادرتنا
دون أن ندرك هويتها
الحروف مبتورة الرجلين
والعيون يهزأ بها
الفجر الناصع البياض

□ □ □

العقل يفزل خيوط الأفكار
والغيوم ترفع أشعة السفن
وتظل آمالنا تدوم
فوق الرؤوس

□ □ □

ومسيرة الزمن
تحشد كل شيء في الوجود
والنهر يجري
ولا يبدل خريزه

□ □ □

٤ - ساديتا امر للاهو Sadete Emèrlahu

عشت الشاعر / ساديتا / أنسام الحرية منذ طفولتها وعطرت مشاعرها
بأريج الأرياف .. بعدما عاشت مع آلام المرأة الريفية .. وأحزانها في بيئة
التخلف والاهمال فقد ترعرعت في منطقة فقيرة .. وارتسمت في مخيلتها
صور الحياة الريفية القاسية .. فالتقطتها لتعبر عنها بطريقتها الخاصة
المألوفة ..

١ - أميتي

أميتي .. ! !
أن أجبو ثانية كالأطفال
في يوم بهيج مشرق
والثلج يكلل قمم الغابات
أن أرضع ثانية من الثدي
لبن الكبرياء
هذا ما أتمناه

□ □ □

أميتي ..
أن أقبل جباة الصخور
وأغني لها أغنية ريفية

ومن خلال اللهب
سأكشف الغلالة عن وجه يوم جميل
لأحفظه في أعماق قلبي
لأجدد فيه آمالي

□ □ □

أمنيتي . . ! !
أغنية ، أحطم بها الصخر
وأمسح عن جبين الحياة
لهيها . .



ARCHIVE

<http://Archive.org>

وأغني . . ! !
لنساء الأمس
اللواتي يحتجن الى الراحة
قد نسير عند بزوغ الفجر
باتجاه قرص الشمس
لتحقيق أمني الوعيد

□ □ □

٢ - الى المرأة الريفية

أمضينا الأيام بين حقول الأرياف
ولم نذق طعم الراحة أبداً

في عينيك أرسم الحظ التعيس
ولم أسمع منك
أية شكوى أو ظلامه

□ □ □

أزداد فرحنا في البيادر
وتابعنا مسيرتنا
في درب لانهاية له ..
هل ستلمح رفيقتي القروية
سنا يومها المشرق
قلت ذلك .. في وقت متأخر من الليل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هدهدنا معاً
سرير أحلام ريفنا
وقرأنا معاً كتب الحرية
أبتعدت عنك أيتها الرفيقة القروية
بقيت وحدك
شدك الحظ التعيس اليه
وطقت تعذنين
بعدها ثقب جوربك

□ □ □

هـ - شهرزاد شكريلي Shehrezad Shkreli

تأثرت الشاعرة / شهرزاد / بالتطور الحديث للشعر المعاصر وأعتمدت
على أصالتها الأدبية في بلورة فكرها ، وتجسيد أحلامها في قالب شعري •
نشرت ديواناً بعنوان / ألف زهرة وزهرة / ضمت فيه قصائدها
الأولى ••

١ - الراعي

في وسط الحقول
يحيا بالطير ليحرس الزمن
الباقة عنده
غابة كثيفة •

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

□ □ □

أصابه كالضياء
تداعب الزمار
وحين يتناول الغداء
يجلس على الأرض باسترخاء

□ □ □

باقاة الورد عنده
غابة كثيفة
يحيا بالعطر
ويحرس الزمن

□ □ □

أجل .. !!
باقاة الورد عنده
أرض غالية
هي الوطن ..



<http://ArabicBooksBakrit.com>

٢ - لا تبحث عني

لا .. لا تبحث بعد اليوم
عن خضرة عيني

□ □ □

لا تبحث ..
عن لهيب قلبي *

□ □ □

لا .. لا تبحث طويلاً

عن حطامي المحترق

□ □ □

لا .. لا تبحث كثيراً

فلن تجد إلا السراب

□ □ □

٦ - عائشة غاشي Ajshe Gashi

ولدت في عام ١٩٥٠ في قرية قريبة من مدينة [Peja] أنهت
دراساتها العالية في قسم الأدب والفلسفة ..

وتفتحت براعم مشاعرها الأدبية أثناء دراستها الثانوية .. فكتبت شعراً
عاطفياً صبغته بريشة الطفولة الحاملة .. ونشرت بعض قصائدها في المجلات
الأدبية المختلفة .

١ - أنت

حين منحني الحب

سلبت من القرقل ألوانه

□ □ □

حين منحني النظرة الأولى

سلبت من الشمس أشعتها .

□ □ □

حين غنيت لي الأغنية الاولى

أخذت من البلبل صوته .

□ □ □

وحين منحني القبله الأولى

سرت من العمل حلاوته .

□ □ □

وحين ضمنتني بين ذراعيك

أعطيتني كل أمل للحياة

□ □ □

٢ - ذكرى

تعد أمي المسكينة

المائدة ..

وتقدم الخبز للطاعمين

□ □ □

□ نفحات من الشعر النسوي الألباني في كوسوفا □

صندلها هدية أو تمحة
وفوق كتفها العارية
قطعة نسيج

□ □ □

هي تردد أبداً
يا رب .. يا رب الجميع
هل يظل الفقر رفيقنا
الى الأبد ..



ARCHIVE

Flora Brovina فلورا بروفينا ٧

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تعتبر الشاعرة / فلورا / من اللواتي استطعن أن يجتزن الآفاق
البهيجة .. وتمكنت أن تنتقل الى مرحلة الايمان بقضية الانسانية .. وأعتبرها
النقاد الشاعرة التي تلون الكلمات بريشة آمالها بكل صفاء واخلاص ..

١ - رفاق أبي

كنتم .. بعدد سنوات عمري اليوم
وبعد مالي من أصدقاء
يا رفاق أبي

لكم في قلبي حب أبي
كنتم مَكلنا اليوم
حفظنا أسماءكم الخالدة
التي غدت عناوين هداية بارزة
تخلدها المدارس
والشوارع
والمعامل

□ □ □

كلما سرت في شوارع
أراكم ..
أقتصب أمانكم بكل كبرياء
لأنني أعرفكم ..
أناديكم ..
لأنني أعترّ بحبكم
وأتم لا تعلمون

□ □ □

بدت مآثركم نبراساً لنا
وبقيت أسماؤكم مفخرة لنا
محفورة على صفحات قلوبنا

عناوين هداية بارزة
تخلدها المدارس
والشوارع
والمعامل

□ □ □

أمضيت فصول الربيع
وشعرت بعد مضيتكم
أنكم ستادونني بالرفيقة
ألا تدرون

أنتي ابتكتكم
لأنكم رفاق أبي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

□ □ □

٢ - إلى رفيقتي «مستي»

شرح المدرس على المجهر
حرب الجرائم المنتشرة
أتذكرين أن ذلك يا «مستي»
كان يوم لقائنا

□ □ □

كنت في شوق
لأحدثك عن مدينتي الصغيرة
ولمت عيناك
عندما حدثتني عن أفريقيا السوداء

□ □ □

رفيقتي « مستي »
عندما وصفت لك
جمال القتيات أثناء غنائهن
وصفت لي ..
الاطفال الجياع الذين يموتون
عندما ذكرت لك أمهاتنا
ذكرت لي .. تجاعيد الهم والألم
البارزة في جبين الأمهات الأفريقيات
ولما أخبرتك : انني أحب الربيع والأزهار
أبتسم قائلة :
هنيئاً لك بأمانيك .. وجبك
أما أنا .. فأريد أن أتسم الحرية

□ □ □

رفيقتي «مستي»
تابع المدرس شرحه
عن أوبئة الجرائم
أتذكرين أن ذلك
كان يوم لقائنا الأول

□ □ □

ذكرتك .. وفكرت فيك
أأسميك «مستي» أم «أفريقيا»
أتكافحين ضد الجرائم القاتلة
أتحافظين على آمالك
أتحاربين الأمراض الفتاكة
يا أفريقيا .. <http://Archivebeta.Sakhr.it>
أأنت ما زلت شجاعة
هل تخلصت من الجوع والجفاف
أم مازلت تحتاجين إلى قطعة خبز يابسة

□ □ □

رفيقتي «مستي»
أذكر جيداً
رداءك الأبيض الناصع

وأنت تتخطرين بلونك الزنجي
أنت أفريقيا
وأفريقيا كلها أنت

□ □ □

٨ - فوزية صاديكو Fauzie Sadiku

تحاول هذه الشاعرة كشف مكان عواطفها المضطربة كي تنطلق بعدها
الى واحة الابداع .. ولتنهج طريقاً مزدهراً بالآمال .. ومن خلال تساؤلاتها
المتعددة تريد أن تقول شيئاً لم يسبقه إليها أي انسان .. طموحها لبعث قناديل
الحياة في الزمن الراحل .

ARCHIVE
http://www.3amm.com

هل أقدر على الكتابة
بعد هذا الصمت الطويل
أنا ابتك يا أماء
يا من أنجبت قلبي وقلبه
نحن الأخوين
وما ان فؤاده ينأى عني اليوم
ويظل قلبي الوحيد نهبا للرياح

□ □ □

هل لي أن أكتب بعد الآن
في ذكرى كل راحل
في مواجهة كل حدث
يلم بعالمنا
وأنا أعلم
أن الدموع لا تبدل شيئاً

□ □ □

هل لي أن أكتب
عن كل صراع خضته
أنا المرأة
التي ترعرعت كالمجاربين
فادّخرت الحب
للسلاح والعتاد
من أجل نيل الحرية

□ □ □

هل لي أن أكتب .. ٢٢
كل ما غنيت ..
لكل ربيع
لكل ولادة

لكل طفل يكبر
في كل يوم يأتي
لكل شهيد راحل
لكل حبيب نودعه •

□ □ □

لا بد من الكتابة
ومن الفناء بصوت عال
ما دامت لي عزيمة الرجال
أنا المرأة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

لا بد ان تردّفا الحياة اليها •
رغم المآسي والنكبات
بدافع حبها الكبير
فنحن الاوتار الخالدة
في مسيرة التاريخ
في موكب الثورة
في ولادة الموت
نفني لكل محنة •

□ □ □

أنا المرأة

مسيرتي لم تكن طويلة

فلم تدفنون الشمس ؟؟

أو تحجبون الوجوه ؟؟

أو تطلبون صمت الاغنية ؟؟

□ □ □

لا بد من الكتابة

عن مسيرة حواء المستمرة

عن كل ما ينسو تحت الشعاع

لارى العالم بعيني
فليس ثمة أجل

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

من أن تثرثر بما تفكر به

من أن تجعل قلبك مشرّعاً

لا يرتج بابه أبداً

□ □ □

٩ - فهيمة سليمي Fehime Selimi

تملك الشاعرة / فهيمه / الاصاله الفنية في التعبير عن رحلتها النفسية
المستمرة في طريق الحياة .. وتتميز قصائدها بالحس الذاتي المشرق ...
والحدائثه الابداعية .

١ - ازهار القرنفل المجتة

كل شيء يستقيظ باكراً
حتى المطر ..
وتزحلق الفيضوم على الاشجار
وفي العيون يموت جمال الخضرة
ولا أعلم كم من المرات
طار فيها اللقلق ولما يعد
أحرقت الأعشاب عشه
وأقبل الى وليمة العشاء
متطفلاً من غير دعوة
أزهار القرنفل المجتة
والألم ينمو في الألم
فواحسرتاه .. !!

كيف تقرع طبول الاعراس
ولا وجود للعروس

□ □ □

البراعم تزدهر
والقرقل ينمو
مجث الرأس
عظمي وعظمك
يتحدان في اللهو
فمن ذا الذي أغلق باب البيت
ونصل بيني وبينك



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

البراعم تزدهر
والقرقل ينمو
ويكبر ..
مجث الرأس

□ □ □

فمن بدأ منكما
أنت أم المساء .. ؟

حتى كانت نهايتي ولم أكن
القرنفل يحترق دون عظام
□ □ □

وعلى الجدران يتساق البلاب
وأنا المتسلقة بلا رأس
وجوادي رمى حذواته
في الحقل
فكانت النهاية ..
دون أن أكون ..



الشوق محروق على البراعم
فكيف أعمل ..
قل لي بربك : كيف أعمل .. ؟؟

□ □ □

غاب عن القرنفل لونه
ونسي العصفور المسافات
ونسي اليوم اسمه

وأنا أغزل خيوط الحظ
باحثاً عن هامتي في الوهاد
صرت ذكرى بلا هوية
ولا اسم ..

□ □ □

ودفنت الألم في الألم
في خطواتي
فوق الطريق المتطاولة
وحروف المطر تنهمر
ونحن نتابع المسيرة
أنا وأنت وطائر السعد



محترق كل ما حولي
حتى الوحدة
ففي أي مكان
يُترقب صوتك
والألم
في أي حب
ثور أمواجه

□ □ □

١٠ - ميراديا راميجي Miradija Ramigi

تستمد الشاعرة / ميراديا / وحيتها من ينبوع غزير لا ينضب .. فهي تملك
الحدس للانطلاق في ربوع أحلامها .. لتجدد في كل لحظة آمالها المغروسة في
النجوم المتألثة .. وتبحث عن ذلك الانسان الذي يثير فيها حرارة العاطفة ..
ودفع الحياة . ففي قصائدها رجع صدى لألحان قلبها الظامئ الى
الحب .. والوفاء ..

١ - حذار

حذرتك من أن تحصد
سنابل قبجي
قبل أن تنضجها السنون
فحصاد السنابل الخضر
يبعث الألم في الاعماق

□ □ □

حذرتك من أن تقصف نموي
فمن الربيع المزهري
سرقتم عمري المتنامي

□ □ □

حذرتك من أن تمسح النجوم
من السماء
بمكنسة النسيان
هلاّ عددها بأصابعك
حتى لا تطرد أحلامي المطبقة
وذكرياتي المعقدة
هذا ما حذرتك منه

□ □ □

٢ - ألوان الانتظار

أياها الفارس الأزرق
في الذرا
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>
لماذا تلاحق وجهي
بعد ألف انتظار وانتظار
أنا كامنة في الألوان
في حلم النهود البارزة
فأتى لك عيناى الحالمتان
وأنت موثق اليدين
أتى لك أن تخلق ألواني
وتكوّن لوحتي الصامته

دونك خضرة الصيف
ورحلة الطيور الناعسة
أبحث عن صورتني في كل مكان
بعد ألف انتظار وانتظار
لن تصل الى حكايتي الصامته
الى مسيرتي الطويلة الشاقة
فكلم تلاحق رسمي
وأنا كامنة في الألوان



Resmije Kryezin

١١ - رسمية كروزيو

الشاعرة / رسمية كروزيو / حطمت الأوزان الشعرية • وانصرفت الى
الى الرؤية الذائبة بأسلوب رمزي ، للتعبير التلقائي الطبيعي عن أحاسيسها
الأشوية بكل جرأة وصراحة •• وهي تسلط الضوء على الكلمة العفوية
التي تتحدى جمود اللغة والوزن •



١ رسالة لنا تكتب •• !!

ها قد تلوتهم

رسالة الحب الرقيقة

تلوتموها بصدق

لكن رسالة واحدة

لم تتمكنوا من تلاوتها

هي الرسالة

التي لم تكتب بعد

رسالة قصيرة

تضمن همس الأحلام

وقطرات الدموع المذروفة

والكلمات العالقة بالحلقي

عار .. !!
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

أن تقول للقادم

حاملاً مصباحه

في موهن من الليل

لا أحبك .. !!

فالفرش ناصع البياض

يستمد دفته

من حرارة الدمع

□ □ □

في تلك الليلة
تمر الكلمات دون أن تتلفظ بها
لأنها آملنا المسحوقة
تستتر تحت الجفون
تجلس ..
في جوار الرغبات
مقيدة بألف قيد

□ □ □

في تلك الليلة
تستقر الكلمات على الأهداب
وما أروع طعم القبلات
اذ تختلط بالدمسوع
التي تجف
مع مرور الليل

□ □ □

سأكتب اليك رسالة
من القرية الجبلية
بين الشعاب الضخمة
وأنسج لك بأغلى الخيوط

بواكير الزهر ..
مطرزة بالالوان
نابعة من أعماقي الصافية
كالحب الذي لم تحدثني عنه
سأبرزك الى السوق
في كل لون
في كل خط
في كل حديث
تخالطه الدموع
سأبرزك في السوق
جسداً نقياً
في رائحة الأزهار



فما أجمل أن أراك
تحمر خجلاً
دون أن يسكك أحد
وما أروع أن أراك
لحناً رقيقاً

حين تهب أوراق الشجر
سأبيع من أجلك كل ربح
فدىء لثوبك الغالي
لقمصك الشفاف
ما تقول عنه
هل هي غالية .. ؟؟



لأن الحب هو الذكرى
ذكرى الدموع
تمتزج بالألماني العذاب
أريد أن أراك
كما أنت
بقمصك الممزق
بقبعتك الصوفية البيضاء

بأزهارها الملونة

وحين أخرج الى السوق

لأبيع ما عندي

تغلق الحوانيت أبوابها

مثلما أغلق بابي

ومن خلفه الذكريات

ودموع الحب

كلها لأجلك .



يصدر قريباً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

زمن الفرات يتالق في القلب

د. نذير العظيمة

شعر

جَوْلَتِ مَعَ الْأَدَبِ

جون دوس باسوس

أفردت مجلة الادب الاميركي في عددها الاخير ملفا خاصا عن الروائي الاميركي جون دوس باسوس (John Dos Passos) وقد ولد الروائي في أحد الفنادق بشيكاغو عام ١٨٩٦ وكان الابن غير الشرعي (لجون راندولف دوس باسوس) الذي كان يشتغل بالحقافة ، وقد ساعدت بعض سمات بيئته العامة ، وهو في مطلع حياته على تشكيل شخصيته الفنية الروائية .

وتحدث الملف عن المؤثرات الخارجية في حياة الروائي ولكن الجزء الاكبر منه تناول أعماله وخاصة (قصة الجنود الثلاثة) و (قطار الشرق) و (خط العرض ٤٢) و « الولايات المتحدة الاميركية » وهذه الاخيرة هي ثلاثيته الشهيرة .

وثلاثية (الولايات المتحدة الاميركية) ، هي قبل كل شيء سفر من

الذكريات ، وهذه الذكريات تنصب جميعها على الولايات المتحدة خلال الثلث الاول من القرن العشرين ، وهي تتجمع وتسير في خطوط متوازية من التراجم الذاتية والتاريخ والسير والقصص الروائي • والشكل الفني المستخدم في تصويرها هو اسلوب التداعي الذي تقوم عليه الذاكرة ذاتها • والذي عن طريقه تتكون الصور الذهنية في العقل ويمكن بعد ذلك استعادتها ، وهدف هذا العمل الادبي مساوٍ لوظيفة الذاكرة وهو أن يقيم في العقل صوراً ذهنية ، وهذه الصور باتصالها وتداعيتها مع صور ذهنية أخرى مستمدة من التجربة مثل صور اللذة والالام تتطور الى مواقف واتجاهات نحو أنواع معينة من التجربة أو تتحول الى قيم أو مقاييس نحكم اليوم بمقتضاها •

في ثلاثية (الولايات المتحدة الأمريكية) وجد دوس باسوس لنفسه مكاناً أميناً في تاريخ بلده في ذلك الوقت ، لكن اهتمامه بالتاريخ كان يفوق اهتمامه بهذا التاريخ ، وهو كمؤرخ لم يكن بحاجة الى من يذكره أن الديمقراطية لم تكن في بلده سوى قناع خارجي للنظام السياسي •

كان دوس باسوس كناقذ يهتم دائماً وبصفة رئيسية بتأثير الظواهر على الفرد سواء كان رجلاً أو امرأة • وقد ساعد هذا الاهتمام في أن جعل منه كاتباً قصصياً كما كان هذا الاهتمام ، وليس تعليمه أو احترافه الكتابة القصصية هو الذي جعله يركز كل تواريخه على الشخصيات ، وعلى الصفات المميزة للشخصية • وعلى ذلك ينصب

اهتمامه في (الثلاثية) على الستة وثلاثين شخصية الحقيقية ، وهذه الشخصيات الروائية تصور تفكك الاسرة أكثر مما تصور أي شيء آخر ، تلك الاسرة التي كانت يوما ما إحدى الدعائم الأساسية للمجتمع الأميركي . ورغم أن غالبية الشخصيات الروائية كانت تنتمي إلى أسر مستقرة متماسكة إلى حد ما ، فقد عجزوا عن أن يقيموا لأنفسهم أسرا مماثلة ، والقصص الروائي في (الثلاثية) مليء بالمتناقضات المؤسفة ، والشذوذ الجنسي ، والصداقات المريية العابرة ، والطلاق ، وعمليات الاجهاض . وفي النهاية يلخص (بن كومبتون) أحد الأبطال ، مطالب العصر في حديثه إلى (ماري فرنش) وهي واحدة أيضا من الشخصيات الهامة التي يبدي المؤلف نحوها كثيرا من العطف ، وهي التي جعلت منها غريزة الامومة عاملة مخصصة من أجل المظلومين . يقول بن : « أتدريين ؟ لو اننا لم نكن أغبياء لكنا أنجبنا ذلك الطفل في ذلك الوقت ولأحب كل منا الآخر رغم ذلك » .

والقارئ يشارك دوس باسوس رأيه في أن الرأسمالية الطليقة تدمر المجتمع وتدمر الاسرة وتدمر الانسان . ويشاركه حبه لكل من الشخصيات الروائية الرئيسية اذ هو يرى كلاً منهم في طفولته . ثم يتحول هذا الشعور بالحب إلى شعور بالاحتقار أو الرثاء عندما يراهم يتحولون إلى أجزاء أو وقود للآلات الرأسمالية . وربما شعر بالغضب تجاه نزعتهم الفردية التي تؤدي بهم إلى الهلاك أو الموت كما في حالة (جو وليامز) و (دوتر) اللذين قتلوا في اضطرابات ما بعد الحرب في

فرنسا ، أو تؤدي بهم الى العزلة أو الافلاس كما في حالة (بن كومبتون)
ان (الثلاثية) مأساة عظيمة من التاريخ ، بطلها الولايات المتحدة
ذاتها في فترة الثلث الاول من القرن العشرين وهي ادانة للرأسمالية
القائلة للانسان والمزيفة للشعار الديمقراطي الذي ترفعه ، ولكنها
عندما تتهدد مصالحها لا تتورع عن أن تقتل (ساكو فانزيتي)
وهو بريء .

م ١٠ خ



ARCHIVE

صدر حديثاً
<http://Archive.maktabat.com>

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

الأدب في خدمة المجتمع

عبد المعين ملوحي

دراسة

أغنية البصل

للشاعر الإسباني
ميغيل أرنانديث

ترجمة : مصباح عبدالسلام

١ - تقديم :

كان الشاعر : ميغيل أرنانديث Miguel Hernandez الذي ولد في ٣١ أكتوبر ١٩١٠ بأوريهويلا Orihela ومات في سجن اليكانطي Alicante في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٢٨ مارس ١٩٤٢ . يعيش احلك أيامه في حالة بين المرارة والالام داخل سجن طوريوخوس Torrijos بمديرية حيث يصعب تخيل الحياة او نقلها في السنوات الاولى من انتهاء الحرب الاهلية الاسبانية (١٨-٧-١٩٣٦ - ١-٤-١٩٣٩) بين جدران أورقت عليها العفونة وأزهرت بهارائحة الرطوبة وأصبح منظرها يشير القرف ويملك من ورائها انقاس اليأس الجنائزي ورائحة الموت .

في هذا الجو المشحون القاتم ذو الاحلام المجهضة والاشواق اليابسة يتسلم الشاعر البائس الذي فقد كل امل في رؤية الشمس رسالة من زوجته خوسيفينا Josefina تقول فيها ان وحيدة وفلذة كبده لا يجد ما يأكل وقد اصبح البصل والخبز اليابس كل زاده ..

وفي يوم ١٢ سبتمبر ١٩٣٩ وقد بلغت مأساة الشاعر ذروتها - يرد على زوجته برسالة تحفل بالآلام الجراح التي عصفت بكل ماكان يشعر به نحو الحياة والحب من حيوية دفاقة وآمال رسالة تجسد لحظات الكدر ولحظات الصفاء معا .

ان هذه الرسالة تعتبر مفتاحا تساعد كل من يريد دراسة ادبه على فهم شعره خلال هذه المرحلة حيث تكشف لنا عن فضج فكره ووعيه السياسي وتبلور رؤاه الشعرية وبالتالي تكشف عن العمق الانساني والجو الفريد الخافق بالحنين - بالحب - بأحاسيس الامل ... وبالكوايس المتراسة بألوان اليأس الذي ولدت فيه الكثير من قصائده داخل السجن المطبوعة بالمرارة والعذاب ... احيانا بإحلام الخلاص المشعة .. ومن القصائد التي كتبها داخل السجن : اغنية البصل

ولما كانت تلك الرسالة تتعرض من قريب جداً الى فكرة هذه القصيدة فاني ارتأيت ان اقتطف منها هاتين الفقرتين القصيرتين تعميما للفائدة :

« هذه الايام قضيتها متأملا في حالتك ... كل يوم يزداد شقائي ويعظم ياسي ... رائحة البصل الذي تأكلينه وصلتني الى هنا ... وطفلي احسه ساخطا من رضع واستخراج عصارة البصل عوض الحليب .

« لقد قضيت ساعات طويلة افكر في هذا الطفل وفي ذلك المستقبل الذي ينتظره ... انت باتتباهك وحرصك وانا بجهدي وسعيي ... اني أريد مستقبلا مشرقا مستقبلا رائعا من اجل طفلنا » .

والان
والان

كيف يرى الشاعر ميغيل ارنانديث الشاعر السجين مستقبل ابنه من
خلف القضبان في عتمة زنزاته بعد ان لحقته لعنة الحديد والرطوبة والظلمة
وقد اصبحت اسبانيا بلاده تحت رحمة البنادق الكتائبية وكرايج القمع .
لنقرأ اغنية البصل :

٢ - القصيدة :

| | |
|-----------------|-------------------|
| البصل صقيع | مغطى بسكر الصقيع |
| مفلق وضعيف | بصل وجوع |
| صقيع أيامك | امراة سمراء |
| وليالي | في القمر ثابتة |
| جوع وبصل | فسوق المهد |
| جليد اسود وصقيع | خطا خطا تذوب |
| كبير ومستدير | اضحك يا طفلي |
| في مهد الجوع | متبلغ القمر |
| طفلي يوجد | عندما يكون ضروريا |
| مع دم البصل | اضحك |
| يرضعه | قبرة يتي كثيرا |
| لكن دمك | ضحكتك في العيون |

يا منافس الشمس
ومستقبل جي
وعظامي

اللحم المرفرف
الجفن المباغت
الحياة الملونة

كالم تعيش ابدأ
كم طائر
يرفرف

من جسمك يرتفع
استيقظت من طقولي
أبدأ لاستيقظ

احمل الثغر حزناً
دائماً اضحك
دائماً في المهد

للعالم نور
اضحك كثيراً
حتى اذا روحي سمعتك
ررفت في الفضاء
ضحكتك حراً تجعلني
أجنحة تمنحني

عن الوحدة تبعدي
من السجن تقتلني
الثغر الذي يطير

القلب الذي في شفتيك
يومض
ضحكتك

هي السيف الاكثر اتصاراً
يا متصراً على الازهار
على القبرات

يا فعات
حدود القبلات
تصير غداً
عندما في اسنانك
تحس بسلاح
تحس بنار
عبر اسنانك تجري
عن المركز باحثة
بين قري الصدر
طري يا طقلي
هو من البصل حزين
أنت راضٍ ..
لا تنهر
لا تعرف ما يحدث
ولا ما يجري

مدافعاً عن الضحكة
ريشة / ريشة
كن ذا تحليق عال
متعدد
فلحمك
هو السماء الملوذة حديثاً
لو انني استطعت
الى بداية طريقك
ارفعت
في شورك الثامن
بخمس زهرات تضحك
بخمس فراشات
جد صغيرات
بخمس اسنان
مثل خمس يا سمينات

ملاحظة :

تعتبر هذه القصيدة من اشعار ميغيل ارنانديث التي كتبها في السجن وقد نشرت بعد موته الى جانب اخواتها . . اعتمدت في ترجمتها على كتاب « الرجل وشعره » EL Hombre Y SU Poesia الذي نشره خوان كانو بايستا Juan Cano Ballesta والصادر في سنة ١٩٧٤ عن دار كاتدرا Catedra مدريد . الطبعة الاولى .



ARCHIVE يصدر قريبا

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

« نقوش . . وكلمات : »

علي سليمان

شعر